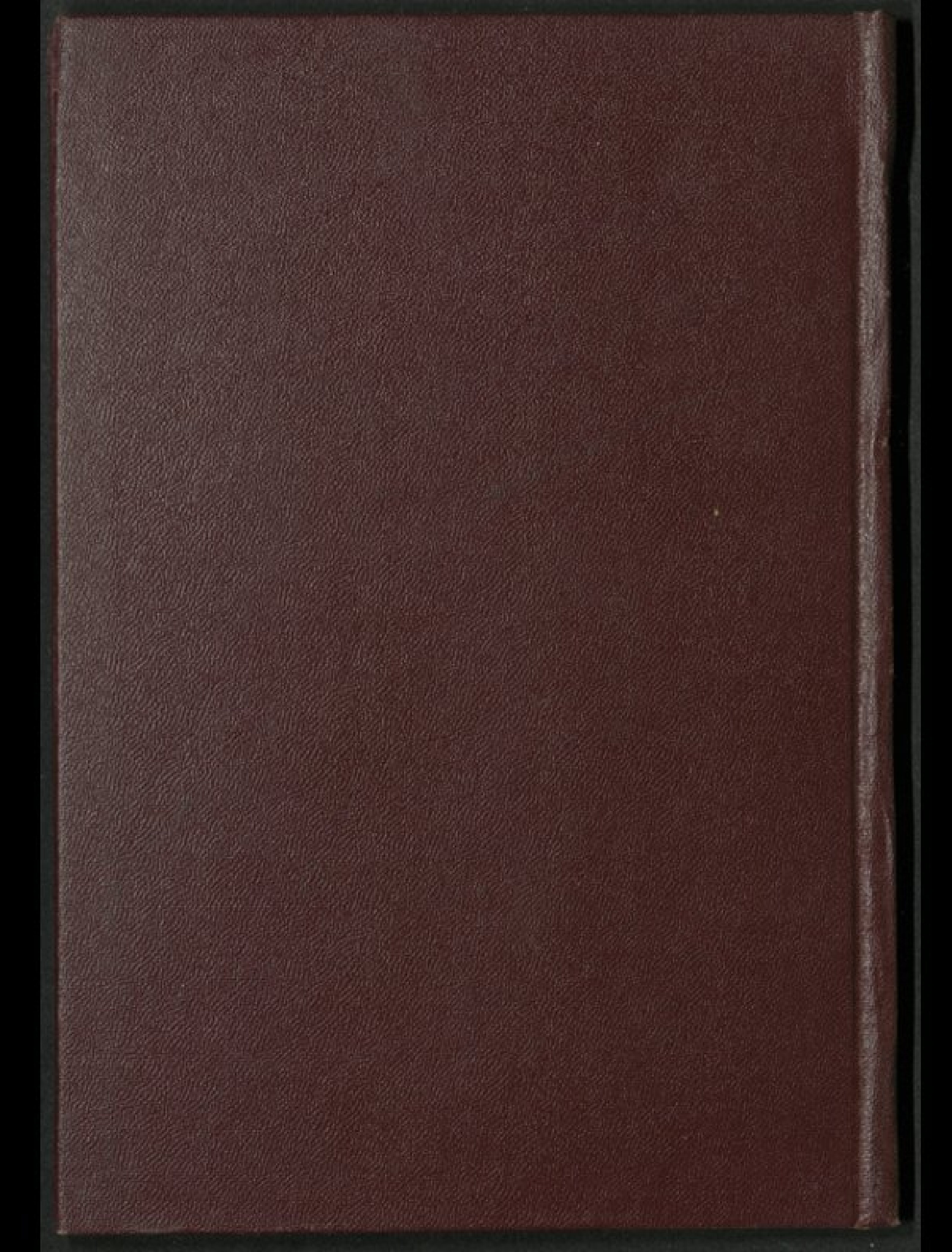
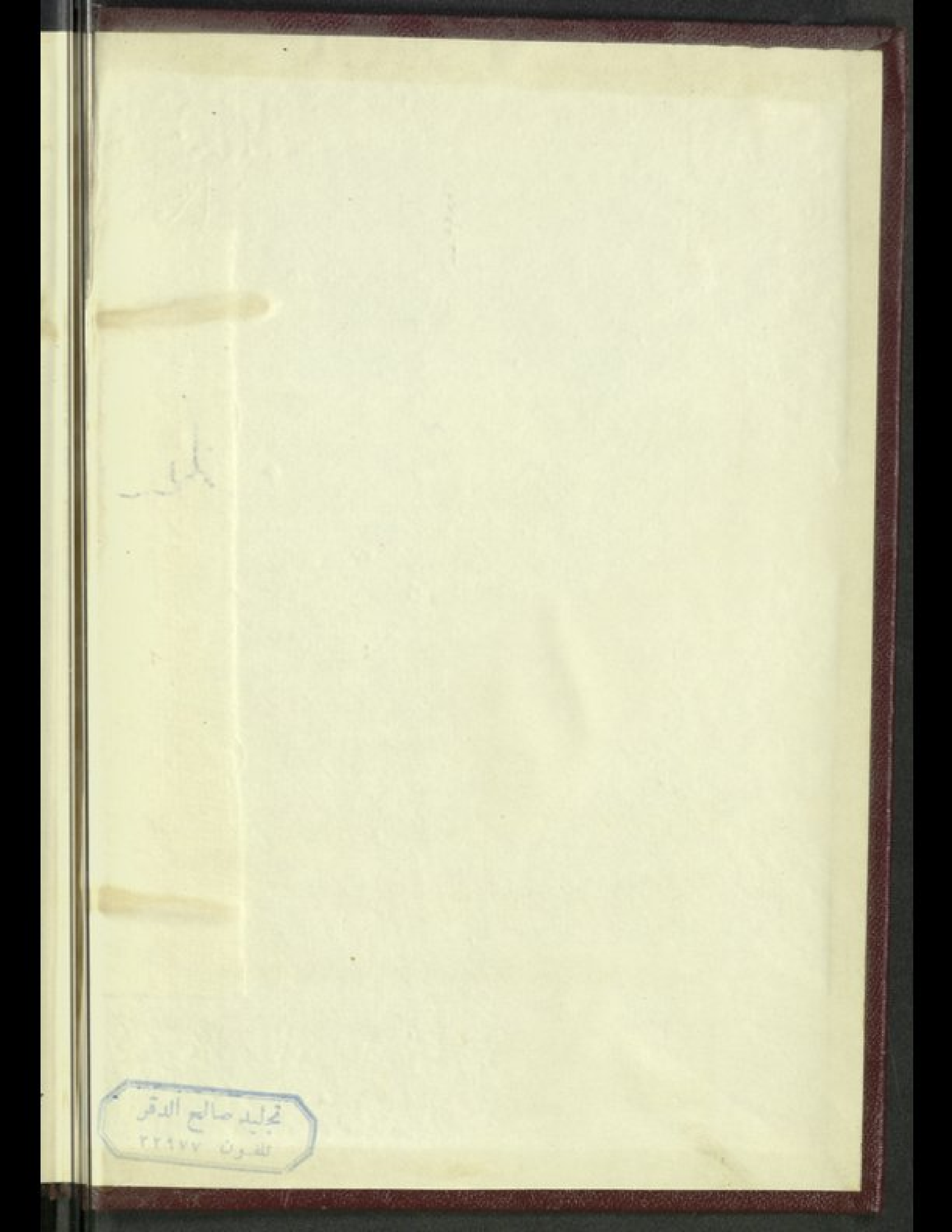




تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

حسن حسني عبد الوهاب

نوابغ المغرب العربي
١

الإمام المازري

ترجمة حياته بمناسبة مرور ثمانمائة عام على وفاته يتقدمها بحث تاريخي عن تسلسل السند العلمي بافريقية من لدن الفتح العربي الى القرن الثامن للهجرة .

ملتزم الطبع والنشر
دار الكتب الشرقية تونس

الاهداء

إلى الحبيب الاديب ، الوطني الصميم ، من مـلا الله قلبه إيمانا واخلاصا ووفاء ، ورزقه من الاخلاق العالية ما أكثر محبيه والمعجبين بكمالاته :

محمد الهادى المدنى

أهدي هذا البحث ، راجيا أن يُثير من عاطفته الكريمةما يزيده تعلقا بأولئك الاعـلام الافريقيين ، قدوة القطر ، وفخر المصر

عبدالوهاب

كلمة للقارى

صدور هذه الدراسة القيمة ـ أيها القاريء العزيز ـ هو بداية مشروع للنشر يتجه أولا الى خدمة الثقافة التونسية في نواحيها الشتى ، في نشر مخطوطات تونسية تمثل الفكر التونسي، وفي بحوث مركزة حول موضوعات افريقيـة ، وفي التعريف الكاشف بـ « نوابغ المغرب العربي » وهذه الدراسة عن الامام المازري ، والسند العلمي التونسي هي الحلقـة الاولى في هذه السلسلة التي سنوافيك بكل حلقة منها في أقرب وقت ممكن إن شاء الله .

ويسرنا ان تكون الحلقة الاولى في هذه السلسلة دراسـة مستفيضة عن شخصية اسلامية مجتهدة ، لعبت دوراهاما في تاريخ السند العلمي الافريقي الذي أسهب المؤلـف في الحديث عنه إسهابا ممتعا ، كشف لنا فيه ناحية مجهولة وهامة ، هذه الشخصية هي شخصية الامام المازري طيب الله ثراه ..

ويسرنا أن تكون هذه الدراسة ـ وهي بداية عملنا

التونسي - بقلم باحث فاضل قصر حياته المثمرة الطويلة على خدمة تاريخنا التونسي ، والثقافة الاسلامية في هذه الربوع .

ومن عسى أن يكون هذا الرجل ان لم يكن مؤرخنا التونسي المجدد، ومعيننا في هذا المشروع صاحب المعالي الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب الذي يدين له كثير من الباحثين في المغرب والمشرق بالاعانة والارشاد .

هذه كلمة تعريف - أيها القارىء الكريم - بعثنا بها إليك بمناسبة تحقيق الخطوة الاولى من خطوات متعددة ، وسنلتقي دائما حين نعمل ، لا حين نقول .

لجنة البعث الثقافي الافريقي ٧-٦-٥٥

تـــوطئة

فيما بين المائة الثانية وأواسط المائة الخامسة من الهجـرة كانت «افريقية» - وهي البلاد التونسية اليوم - ترفل في حُلل الرفاهية، وتحيط بها هالات المجد، فتفيض عليها البهاءوالرواء.

تعاقبت عليها أجيال من الخلائق والدول ، باذلة لها ما في الوسع من جسام المساعي وجلائل الاعمال ، فانتظم فيها مجتمع إفريقي ناهض ينظر الى المستقبل بعين التفاؤل والاستبشار .

وطدت تلك الاجيال والدول في إفريقية التونسية دعائم الحياة الاجتماعية السعيدة ، فعملت على ترقية الفـلاحة ، وتنمية الصناعة ، وتنشيط التجارة ، وتعميم العلـوم والآداب ، وبذلك طارصيت البلاد في استكمالها أسباب الحضارة والتمدن وضرب بها المثل في ربوع العالمين .

وبينما تمضي افريقية التونسية الى أوج العزة والازدهار إذ رماها الزمن بداهية دهياء ، زعزعت منهـا القواعد وردتها على الاعقاب ، وأقامت فيها مأتما بعد عرس .

كانت تلك الكارثة التي حلت بالبلاد ، ولم يكن لها بمثلها عهد منذ تاريخها الاقدم ، أنها فقدت وحدتها السياسية ، وأضاعت سلطانها المركزي، فاختل توازنها، وانهارت حضارتها في أقل من عام .

هجم على إفريقية التونسية بنو هلال وبنو سُليم ، ولا كهجوم التتر على بغداد ـ وذلك في سنة ٤٤٩هـ ـ كأنهم السيل العرم يتدافع على البطاح ، أو كانهم الجراد المنتشر يحط على الحقول النامية ، وما هي الا ان هدمت القصور والابنية ، وخربت المسالك والميادين ، وعاث في عمران البلاد يد الدمار .

وأصابت النكبة ـ أول ما أصابت ـ مدينة القيروان ، أم القرى المغربية ، وعاصمة الحضارة العربية ، فأصبحت خاوية على عروشها ، يهيم أهلوها على وجوههم في أرجاء الارض العريضة ما بين أصقاع المغرب والاندلس، الى العراق، الى ماوراء النهر.

فارق العلم والادب والفن ربوع القيروان، ومضى يلم شتاته ، ويجمع بقاياه ، ملتمسا له ملاذا في المهدية وسوسة وبعض القرى الساحلية الاخرى .

وكذلك انهوى ركن العلوم الشرعية الذي تواصل قيامه منذ الفتح العربي ، وكاد يندثر لولا بقية صالحة من أولي العزم ، حفظوا تعاليم الشريعة ، واحتضنوا تراث الرواية ، وصانوا سبيل التلقي عن الاسلاف ، وبذلك سلم لهم السند العلمي ، فعكفوا عليه يحوطونه وينفون عنه الزيف ، حتى أسلموه الى الاخلاف ؛ لكي يتابعوا نشره اعلاء لكلمة الله !

في طليعة هؤلاء الافذاذ البررة ، ذلك الحبر الذي خصصنا ترجمته بتلك الاوراق ، وهو (الامام المازري) ... وكأن الاقدار ناطت به جمع ما تبدد من منهج السند العلمي القديم القويم ، واستنقاذه من العبث الذي جرَّ اليه الطغيان والجهالة والهمجية في تلك الحقبة من تاريخ إفريقية التونسية .

ويحق لتاريخ العلم في هذا البلد الطيب أن يعد الامام المازري العروة الوثقى بين الماضي الزاهر لتعاليم الحنيفية السمحة ، وبين العصور الوسطى في تاريخ الاسلام .

ولكي تتجلى مزية المازري في هذا الصدد ، نقدم بين يدي ترجمته إلمامة نتعرف بها كيف تواصل السند العلمي في الشريعة

منذ بزوغ نجمه إلى زمن امامنا الفذ ، وما وليه من العصور الى قريب من يومنا المشهود .

نشأة العلم الاسلامي

ظهر علم الشريعة أول ما ظهر في إفريقيا ـ وخاصة في القيروان ـ على يد الصحابة فالتابعين الوافدين على المغرب إبان الفتوح ، عن هؤلاء وهؤلاء كان تسلسل السند ، فتلقاه منهم ناشئة العرب المولدون ، وأبناء الافارقة والبربر ممن دخلوا في الاسلام ، فما يكاد هذا النشء يحفظ القرآن حتى يروي عن أولئك الفاتحين ومن اليهم سنة رسول الله ، وهي المنبع الثاني للشريعة ، والاصل التالي للقرآن العظيم في استخلاص أحكام الدين .

وقبل أن نسرد لك أشهرمن حملوا العلم ، ورووا الحديث في إفريقية ، وهم الذين يتسق بهم السند العلمي الافريقي ، نستهل البحث بذكر بعض من وفدوا على البلاد وأقاموا بها بعد الفتوح . وقد روى عنهم الحديث والآثار رجال من التابعين

الاولين الذين اتخذوا تلك البلاد وطنا لهم، بعد أن مهدت بها سبل الاقامة بتأسيس مدينة القيروان وغيرها من المدائن العربية.

البعثة الدينية

كان في مقدمة هؤلاء « العشرة التابعون » الذين عينهم الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة مائة من الهجرة؛ لتفقيه الافارقة في الدين، وإرشادهم إلى هديه، وإشرابهم مُثُلَه العليا. ونحن نخص بالذكر منهم:

- إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي، عامل عمر بن عبد العزيز على المغرب، ورأس البعثة الدينية، فقيه صالح، يروي عن عبد الله بن عمر، وفضالة بن عبيد، وروى عنه الاوزاعي بالمشرق، وعبد الرحمن بن زياد وغيره بالقيروان، وعلى يده أسلم العدد الغالب من البربر، وكان على إسلامهم حريصا، مات بالقيروان سنة ١٢٢ هـ.

- عبد الله بن يزيد المعافري المعروف بالحُبُلي، يروي عن جماعة من الصحابة، منهم: أبو أيوب الانصاري، وعبد الله بن

عمرو بن العاص ، وعقبة بن عامر الجهَني ، وغيرهم ، شهد فتح الاندلس مع موسى بن نصير ، ثم استوطن القيروان ، واختط بها دارا ومسجدا و كتابا في ناحية باب تونس ، وانتفع به جماعة من الافارقة ، وبث فيهم علما كثيرا ، مات سنة ١٠٠ هـ وقبره بالقيروان معروف .

ـ عبد الرحمن بن رافع التنوخي ،من فضلاء التابعين، يروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعن جماعة من الصحابة ، وعنه يروي عبد الرحمن بن زياد وغيره ، وهو أول من تولى القضاء بالقيروان بعد بنائها ، ولاه إياه الامير موسى بن نصير سنة ٨٠هـ وكان عدلا في أحكامه . وهو الذي يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرّ بمجلس قوم يدعون الله ويرغبون اليه ، ومرّ بقوم آخرين يتعلمون الفقه ، فقال : كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ؛ أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ، ويرغبون اليه ، إن شاء أعطاهم ؛ وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ، ويعلمون الجاهل ، فهم أفضل ، وانما بعثت

معلما ، فجلس معهم » أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو ؛ وتوفي ابن رافع بالقيروان سنة ١١٣هـ.

ـ ومنهم إسماعيل بن عبيد الانصاري ، كان من العلماء الفضلاء ، يروي عن عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم ، ويروي عنه من أهل إفريقية بكر بن سوادة الجذامي ، وعبد الرحمن بن زياد وسواهما، ومن مواليه عبد الملك بن أبي كريمة الآتي ذكره، وانتفع به خلق كثير من الافارقة ، وهو الذي بنى المسجد الكبير المعروف « بمسجد الزيتونة » في القيروان ، كما أنشأ بها سوقا للتجارة غربي مسجده ، كانت تسمي « سوق إسماعيل » وقد خرج مجاهدا على سبيل التطوع في إحدى غزوات صقلية، فغرق في البحر سنة ١٠٧هـ.

وما من واحد من بقية « العشرة التابعين » إلا كان يروي الحديث عن الصحابة ، ويتقن التفسير والفقه ، والا اتخذ دارا لسكناه ، ومسجدا لصلاته ، وكتابا لتعليم الناشئة ، وقد تفقه

على أيديهم جمع كبير ، هم المربّون الاولون لابناء البلاد،وهم الذين لقنوهم علوم الشريعة .

ومن التابعين الذين دخلوا إفريقية وكثرت عنهم الرواية :

- يحي بن سعيد بن فهد الانصاري ، وجده فهد من الصحابة ، وكانت ابنته خولة زوج حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيء صلى الله عليه وسلم ، ولد يحي بالمدينة ، وروى الحديث عن جماعة من الصحابة ، منهم : أنس بن مالك ، ومعاذ ، والسائب بن زيد ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، وقد روى عنه أغلب أيمة الاجتهاد ، مثل أبي حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، والزهري ، والاوزاعي ،وغيرهم، وكان يحي فقيها محدثا ثقة مأمونا ، قيل إن جملة ما كان يحمله من الحديث : ثلاثمائة يسندها إلى وجوه من الصحابة والصحابيات ، ودخل يحي إفريقية على رأس القرن الثاني للهجرة أرسله اليها الخليفة عمر بن عبد العزيز عاملا على الصدقات خاصة ، ونزل يحي مدينة تونس ، وجالس بها خالد

ابن أبي عمران التُجيبي ، وأخذ كل منهما عن صاحبه ، كما سمع منه خلق كثيرمن أبناء تونس والقيروان ، ومماهوجدير بالملاحظة أن رواية الافارقة للحديث كانت أكثر ما كانت بطريق المدنيين وسندهم ، ويلوح لي أن ذلك هو السبب الاصيل في ميل الافارقة من بعد إلى الاخذ بآراء أهل المدينة في الفقه، وإيثار الكثير منهم لمذهب مالك بن أنس وصحبه وقد قال الامام الشافعي : « إذا جاوز الحديث الحرمين (المدينة ومكّة) فقد ضعف نخاعه » (١)

ومهما يكن من أمر فقد سار يحي في إفريقية سيرة الاخيار البررة الساعين لنشر تعاليم الملة السمحة ، السالكين سبيل العفة والنزاهة في القول والعمل ، وأقام يحي في تونس نحو عشرين سنة بث في أثنائها علما كثيرا ، وأخلاقا مرضية ، وتوفي سنة ١٤٣ هـ (٧٢٠)

مشاركة الافريقيين في العلم

وبين الرعيل الاول من الافارقة الذين حملوا العلم الاسلامي:

(١) كتاب (آداب الشافعي ومناقبه) طبع القاهرة ١٣٧٢ ص ٢٠٠

ـ خالد ابن أبي عمران التجيبي ، وهو تابعي ابن تابعي ، كان أبوه ممن صحب قديما عبد الله بن سلام الصحابي ، ثم قدم مع جيش حسان بن النعمان سنة٧٤ هـ. واستقر في مدينة تونس، وولد له خالد ، فقـرأ على أبيه وعلى غيره من حفظـة القرآن ورواة الحديث ، ثم رحل إلى المشرق وسمع من أعلامه ، وروى عنه غير واحد من كبار الايمة ، مثل الليث بن سعد ، وعبدالله بن لهيعة وغيرهما، وروى له مسلم في صحيحه، و كذا أبو داود والترمذي والنسائي ، كما روى لـه مالك بن أنس في الموطـأ بسند يحي بن سعيد الانصاري ، وعاد خالد إلى افريقية مزودا برواية زاخرة نقلها عنه جماعة من أبناء البلاد ، مثل عبد الملك بن أبي كريمة ، وعبد الرحمن بن زياد وسواهما ، وتولى خالد قضاء إفريقية في ولاية عبد الله بن الحجاب، وتوفي سنة ١٢٣هـ وقد ترك ديوانا كبيرا في الحديث فيه مروياته عن تابعي المدينة .

ـ عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري ، كان أبوه من وجوه التابعين، وقد ولد له عبد الرحمن سنة ٧٤ هـ وجند حسان ابن النعمان في دخوله إلى إفريقية.روى جانبا كبيرا من الحديث

على من كان في زمانه من التابعين المقيمين في إفريقية مثل خالد ابن أبي عمران ، وروى على الفقهاء الذين أرسلهم الخليفة عمر ابن عبد العزيز مدة خلافته؛ لتفقيه أبناء المغرب، ثم رحل في طلب العلم الى المشرق : مصر والشام والحجاز والعراق وصحب أبا جعفر المنصور العباسي قبل أن يلي الخلافة في مزاولة العلم بالكوفة. ورجع الى القيروان وتولى القضاء بها مرتين، وأخذ عنه خلق لا يحصون من أبناء بلده وتوفي سنة ١٦١ هـ

- علي بن زياد التونسي من أبناء مدينة تونس قرأ بها على خالد بن أبي عمران وغيره، وبالمشرق عن سفيان الثوري والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم . وهو أول من أدخل «موطأ» مالك بن أنس و « جامع » سفيان الثوري الى المغرب، وروايته للموطأ مشهورة بين الموطأ آت يوجد منها قطعة صالحة في مكتبة القيروان العتيقة، وممن أخذ عنه من الافارقة : أسد بن الفرات وسحنون، وقد قال سحنون في شأنه : « كان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها الى علي بن زياد ؛ ليخبرهم من على صواب فيها » وتوفي ابن زياد سنة ١٨٣هـ وقبره في حضرة

تونس معروف في أعلى الشارع الذي يحمل اسمه في ناحية القصبة .

تتابع الطبقات:

ثم تبتدىء طبقة ثانية يوافق ظهورها قيام الدولة الاغلبية في البلاد ، ويمتاز رجال هذه الطبقة بالعكوف على أقوال الايمة المجتهدين في التشريع يجمعون شتاتها، ويؤلفون بين موضوعاتها ويبوبون مسائل الفقه ويسقون أحكامها ، بعد أن وقفوا على تفسير القرآن وعرفوا رواية الحديث والسنن، وفي طليعة هذه الطبقة :

- أسد بن الفُرات بن سنان من أبناء جند خراسان، قدم به أبوه صغيرا - ابن عامين - مع جيش محمد بن الاشعث الداخل إلى إفريقية سنة ١٤٤ هـ فأقام بتونس ، ثم توجه الى الحجاز ، وأخذ عن مالك بن أنس ، ثم انحدر الى الكوفة وبغداد ، فقرأ على أصحاب أبي حنيفة النعمان ، ولا سيما محمد بن الحسن الشيباني ، وفيما هو عائد الى بلده عرّج على مصر ، فأخذ

عن عبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الله بن وهب وغيرهما ، واعتمد على ابن القاسم في إنشاء مدونته المعروفة بالاسدية ، وقد تلقى عنه أبناء إفريقية ، مثل سحنون ، وسليمان بن عمران وسواهما ، ويمكن أن نعدّ أسد بن الفرات أول مؤسس للمدرسة الفقهية القيروانية ، بيد أن هذه المدرسة لم تكن تنتسب الى مذهب معين، بل كانت تروي أقوال كبار المجتهدين مع إيضاح ما بينها من فروق ، وإنما كان ذلك ؛ لان المذاهب السُّنية لم تكن قد تعينت بعد ، واستقل كل منها بنفسه ، فان ذلك لم يتسق إلا في القرن الثالث للهجرة ، وعلى أية حال فقد كان أسد بن الفرات يقرىء بالقيروان آراء مذهب أهل المدينة ، ومذهب أهل العراق بالسوية ، حينما أخذت كل طائفة تحاز الى مذهب بعينه .

قال المالكي : « والمشهور عن أسد رحمه الله تعالى أنه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة ، وأهل العراق ما وافق الحق عنده ، ويحقّ له ذلك لاستبحاره في العلوم وبحثه

عنها، وكثرة من لقي من العلماء والمحدثين » (١)

وقال معاصره أبو سنان زيد بن سنان الازدي : « وكان أسد إذا سرد قول العراقيين يقول لـه مشائخ كانوا يجالسونه ممن يذهب إلى مذاهب أهل المدينة : ـ أوقد لنا القنديل الثاني يا أبا عبد الله ! فيسرد لهم أقوال المدنيين » .

ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر إلى أن أشياع أهل العراق ـ أبي حنيفة وأصحابه ـ كانوا أوفر عديدا يومئذ من الذين يتابعون أهل الحجاز ـ مالك وأصحاب السُنن ـ وما ذلك إلا لان الامراء من بني الاغلب وسائر رجال دولتهم كانوا يقلدون ساداتهم خلفاء بني العباس .

وقد تولى أسد قضاء إفريقية لزيادة الله بن الاغلب ، ثم خرج مجاهدا إلى صقلية زعيما للجيش العربي ، فاستشهد في فتحها سنة ٢١٣هـ

كيف دخلت الحنفية إفريقية :

حكى المقدسي في رحلته ـ وقد زار المغرب آخر القرن

---

(١) ج ١ ص ١٨١ من رياض النفوس ط مصر ١٩٥١

الرابع للهجرة - رواية أخرى عن أخذ أسد بن الفرات لآراء أهل العراق ، قال : « وسألت علماء القيروان كيف وقع مذهب أبي حنيفة إليكم ، ولم يكن على سابلتكم ؟ - فقالوا : لما قدم عبد الله بن وهب من عند مالك رحمه الله من المدينة إلى مصر، وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز . فاستنكف أسد بن الفرات أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه ، فرحل أسد إلى المدينة ليدرس على مالك . فوجده عليلا ، فلما طال مقامه عنده قال له مالك: - ارجع إلى ابن وهب فقد أودعته علمي ، وكفيتكم به الرحلة ، فصعب ذلك على أسد وسأل القوم : - هل يعرف لمالك نظير ؟ - فقيل له : فتى في الكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، فرحل أسد اليه ، وأقبل عليه محمد بن الحسن إقبالا لم يقبله على أحد ، ورأى فهما وحرصا ، فزقه الفقه زقا ، فلما علم محمد أنه قد استقل ، وبلغ مراده فيه سيبه إلى المغرب ، فلما دخل اختلف إليه فتيان القيروان ، ورأوا فروعا حيرتهم ، ودقائق أعجبتهم، ومسائل ما طنت على أذن ابن وهب، وتخرج

على أسد الخلق ،وفشا مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - بالمغرب » (١)

ويبدو أن الحقيقة تجانب ماروى المقدسي ، فان أسد بن الفرات لم يكن أول من أظهر آراء أهل العراق .. أبي حنيفة وصحبه - بافريقية ، بل سبقه إلى ذلك بنصف قرن فقيه محدث جليل القدر ، هو :

- عبد الله بن عمر بن فروخ ، أبو محمد الفارسي ، أصله من خراسان ، وقدم أبوه افريقية فولد له بها ابنه عبد الله سنة ١١٥هـ ، وقرأ على محدثيها ، ثم قصد المشرق واتصل في العراق بالاعمش (سليمان بن مهران) التابعي ، وحمل عنه كثيرا من الحديث ، ثم اجتمع في الكوفة بالامام أبي حنيفة النعمان وصحبه مدة طويلة ، وكتب عنه مسائل كثيرة ، يقال إنها عشرة آلاف مسألة ، وكان ابن فروخ يميل الى مذهب النظر والاستدلال ، فغلب عليه القياس على طريقة أهل العراق فيما يتبين له أنه الصواب ، ويروى أنه ناظر يوما زُفَر في مجلس أبي حنيفة ، فازدراه زفر لهيئته الافريقية ولباسه المغربي ، فلم يزل يناظره

---

١) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي ط ليدن س ١٨٧٧م

حتى علا ابن فروخ عليه. وقطعه بالحجة والدليل، فانكر أبو حنيفة على زفر ازدراءه بابن فروخ وعاتبه، ثم تحول ابن فروخ من العراق الى الحجاز، ولقي الامام مالك بن أنس، وسمع منه وتفقه عليه، وكتب عنه مسائل كثيرة معروفة، ثم عاد آخرا إلى بلده القيروان، وانتدب لتعليم الناس، وانتفع به خلق كثير من أبناء البلاد. فعن ابن فروخ، وعن تلاميذه انتشرت آراء أهل العراق في إفريقية. وكان هو أول من أظهرها بها. وكانت وفاته سنة ١٧٢ هـ

من ذلك الحين انتشرت أقوال الامام أبي حنيفة وأصحابه في إفريقية أيما انتشار، ولبثت تزدهر من أواخر القرن الثاني إلى أواسط القرن الرابع.

وقد نبّه المقدسي في رحلته إلى الوفاق بين الحنفيين والمالكيين بقوله: «.. وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا، وأقل تعصبا من أهل القيروان، وسمعتهم يحكون عن قدمائهم حكايات عجيبة حتى قالوا: إنه كان القاضي سنة حنفيا، وسنة مالكيا»

وقد حدث مثل ذلك بالفعل في مدة بني الاغلب ، فلما سقطت دولتهم ، وقامت الدولة الفاطمية الشيعية النحلة تضاءل عدد المستمسكين بالمذهب الحنفي حتى انقطع تماما في آخر عهد المعز لدين الله قبل انتقاله الى ملك مصر سنة ٣٦١ هـ . ولم يبق بافريقية من أهل السنة غير المالكيين ، أو بعض المقلدين لمذهب الامام الشافعي .

وقد وفقني الله تعالى إلى جمع شطر جليل من تراجم علماء الحنفية الافارقة ، فخصصتهم ببحث مستقل عرّفت فيه بهم ، وجلوت سيرتهم ومآثرهم ، وسينشر فيما بعد إن شاء الله .

المدرسة المالكية :

- سحنون بن سعيد التنوخي ، من أبناء الجند العربي ، ولد في القيروان سنة ١٦٠هـ ، وأخذ في إفريقية عن علي بن زياد ، وأسد بن الفرات وغيرهما ، ورحل إلى الحجاز ، ولم يدرك مالكا ، ورجع إلى مصر فسمع من عبد الرحمن بن قاسم ، وعليه غالب اعتماده ، وأخذ عن غيره من كبار تلاميذ مالك ،

وعلي ابن القاسم راجع مدونة شيخه أسد بن الفرات، وقد ظهر لابن القاسم العدول عن بعض آرائه الاولى واتخاذ آراء غيرها، وعاد سحنون الى بلاده، وأراد أن يحمل أسدا على إصلاح «الاسدية» على ما تلقاه من ابن القاسم، فلم يوافقه أسد. واستمر سحنون بما أوتي من براعة ومقدرة يبث فقه أهل المدينة خاصة - مالك وأصحابه - ولا سيما بعد استشهاد أسد ابن الفرات في صقلية، ولذا عدّ سحنون أول من أظهر الفقه المدني ورجحه، وأرسخ كلمته في إفريقية والمغرب، وقد امتاز سحنون بخصال نادرة، منها: جمعه بين الاستقامة التامة والدين، ورجحان العقل والعفة، مع استقلال الفكر وقوة الشكيمة؛ وتوارد عليه عدد لا يحصى من المتعلمين من أنحاء المغرب، ولا سيما الاندلس، وصارت حلقة تدريسه أكبر حلقة عرفت لاستاذ. قيل إنه كان يجلس فيها أربعمائة طالب علم؛ ولما ناله سحنون من الشهرة والصيت البعيد أولاه الامير الاغلبي قضاء إفريقية سنة ٢٣٤هـ فأظهر مقدرة منقطعة النظير في تنظيم مهمة القضاء، بل إنه وضع الكثير من أصول المؤسسات الشرعية في

إفريقية ، مثل دستور « أحكام السوق » وهي وظيفة الحِسبة ، ونظام قضاة الآفاق، وكشف الشهود، وسُنن التعليم الابتدائي، وتعيين أيمة المساجد إلى غير ذلك من الاوضاع التي جرى بها العمل مآت السنين ، وما يزال بعضها سنة متبعة إلى يوم الناس هذا .

وفي مدة قضائه اجتهد سحنون في تعطيل الدروس التي كان يلقيها أصحاب الاهواء، والنحل الخارجة عن السنة في الجامع الكبير ـ مسجد عقبة ـ بالقيروان، مثل الصفرية، والمرجئة، والمشبهة والمعتزلة وغيرهم ، حتى ألزمهم إخلاء الجامع من حلقهم ، ولم تعد إليه بعد .

وقصارى القول أن سحنون بن سعيد يعدّ بحق المؤسس الاول لمدرسة الفقه المالكي في إفريقية ، بل في المغرب عامة ، كما كان الاسوة الحسنة لمن جاء بعده من علماء السنة في دراسة العلوم الفقهية ، وشرح أصول السنة وتوفي سنة ٢٤٠هـ

وتمتاز الطبقة التي تلي هذه بتفسير أقوال من تقدمهم وإيضاح آرائهم ، وتطبيق الفروع على الاصول ، وفي طليعتها :

ـ محمد بن سحنون ، أخرجه والده متخلقا بالكثير من هديه وخصاله ، وجلس يدرّس أقوال أبيه ، وعني بالتأليف فوضع أكثر من مائتي جزء في فنون العلم ، ولا سيما شرح المجمل من مدونة أبيه ، ومن كتبه « آداب المعلمين » الذي بين أيدينا، وهو أول من فتح هذا الباب ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ .

ـ محمد بن عبدوس ، تلميذ سحنون ، وأحد البارزين من صحبه ، كان بارعا في الفقه المالكي ، قوي الاستنباط ، وهو رابع المحمدين الذين اجتمعوا في عصر واحد من أيمة مذهب مالك والثلاثة الآخرون هم: محمد بن سحنون، وهو قيرواني مثله، ومحمد ابن عبد الحكم ، ومحمد بن الموّاز ، وكلاهما مصري ، وعن محمد ابن عبدوس أخذ جماعة لا يحصون من أبناء إفريقية والاندلس ، وألف كتبا كثيرة منها كتاب « التفاسير » فسر فيه أصول الفقه وشرح مسائل المدونة وغيرها ، وتوفي سنة ٢٦٠ هـ .

ـ يحي بن عمر الكناني ، ولد بالاندلس ، ثم استوطن إفريقية بعد أن جال في عواصم المشرق، وروى عن كبار علمائه ، واستقر أخيرا في مدينة سوسة ، وأكثر اعتماده على شيخه

سحنون ، وتفقه به خلق كثير ، منهم : ابن اللباد ، وأبو العرب التميمي ، وأبو العباس الابّياني ، وصنف نحو أربعين مؤلفا في الحديث والفقه ، والرد على أهل البدع ، وفي فضائل المرابطة ، ومنها كتاب فريد في بابه ، وهو « أحكام السوق » (١) أبان فيه نظام المدائن في الاسلام ، ومهمة الحسبة ، وهو - فيما عرفنا - أقدم من ضبط أصولها وأحكامها ، وتوفي في سوسة سنة ٢٨٩هـ ومكان قبره بها مشهور .

ثم كانت بإفريقية طبقة أخرى من حملة علوم الشريعة على مذهب مالك ، وقد شهدت هذه الطبقة سقوط الدولة الاغلبية - سنة ٢٩٦هـ - وقيام الدولة الفاطمية الشيعية مكانها ، وقد حاول ملوك العبيديين القضاء على مذهب أهل السنة ، وتسويد النحلة الشيعية ، وقاسى علماء القيروان من جراء ذلك ألوان الاضطهاد والمناواة ، فأخفت صوتهم ، ومنع نشر تعاليمهم مدة ستين عاما أو أكثر ، كما لقي القائمون بالدعوة الشيعية من مقاومة علماء

(١) لدينا منه نسخة كاملة حققناها وشرحناها ، وعلقنا عليها بما يناسب ، ونزمع نشرها في القريب ، إن شاء الله تعالى .

السنة، واستنكار الامة الافريقيةما أدى إلى وقوع أحداث دموية عنيفة في شوارع القيروان ، وكان ذلك من أكبر أسباب يأس الفاطميين من نجاح دعوتهم في البلاد ، وتمكينها من معتقد الافارقة ، حتى اضطر العبيديون إلى نقل عاصمتهم من القيروان إلى المهدية بعض حين ، ثم ولّوا وجوههم قبل المشرق ، ساعين إلى امتلاك مصر ، حتى استولوا عليها وسكنوها ـ سنة ٣٦٢هـ ـ

وكان على رأس المقاومين للشيعة في نشر دعوتهم بين الافارقة :

ـ أبو عثمان سعيد بن الحداد الغساني، تلميذ سحنون وغيره عني منذ صغره بعلم الكلام والجدل ، والقول بالنظر والحجة ، وكان مفرط الذكاء، وقاد القريحة، متفننا في سائر العلوم ، لا يخلد إلى مذهب من المذاهب ، بل كان يذم التقليد ويقول : « هو من نقص العقول ، وتقاعس الهمم » وهو أكبر مناضل عن السنة أنبتته التربة الافريقية ، وله مواقف حاسمة مع دعاة الشيعة في « رقّادة » منذ بزغت دولتهم، وقد سجل لنا التاريخ بعض مجالس الجدل بينه وبين الشيعيين ، حتى شبهه معاصروه بأحمد بن حنبل

أيام المحنة بخلق القرآن ، وتوفي سعيد سنة ٣٠٢ ﻫ

- أبو بكر محمد بن اللبّاد، وجده الاعلى أحد موالي موسى ابن نصير ، أخذ عن تلاميذ سحنون كيحي بن عمر ، وسعيد الحداد وغيرهما ، وبرع في الفقه إلى أن حاز رياسة المالكية في إفريقية ، ولذا امتحنه دعاة الشيعة ومنعوه من إلقاء دروسه بالمسجد الجامع ، ثم سجن مع المجرمين في المهدية . ثم أطلق وألزم الاعتكاف في بيته ، فكان تلاميذه - ومنهم عبد الله بن أبي زيد - يقصدونه خفية ، ويجعلون كتبهم في أوساطهم حتى تبتل بالعرق ، وداوم على الاقراء ، وقد استفاد منه جيل كامل حافظوا على سند الشيوخ المتوارث ، وتوفي سنة ٣٣٣ﻫ

تفرد المالكية بافريقية:

ثم كانت طبقة أخرى شهدت جلاء الشيعة إلى مصر ، وقيام الامراء من بني زيري الصنهاجيين مكان بني عبيد الله الفاطميين ، وقد خفت وطأة التضييق على المالكية ، إذ أصبح جمعهم بمأمن من المقاومة والتنكيل، وفي ذلك الحين نبغ فقهاء أعلام ، في مقدمتهم :

ـ عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، أبو محمد ، تلميذ ابن اللبّاد وغيره ، وبرع في علوم الشريعة ، حتى انتهت اليه إمامة المالكية ورياستها في عصره ، وإليه كانت الرحلة من آفاق المغرب ، حتى قيل فيه «مالك الاصغر» وعني بالتأليف، وملات مصنفاته البلاد ، وهو الذي لخص المذهب المالكي ، ورجح أقواله ، وجمع بين آراء المتقدمين ، ولا سيما في كتابه « النوادر والزيادات» على المدونة ، إذ استوعب فيه فروع المذهب ، فصار بمثابة ، « مسند أحمد بن حنبل » عند المحدثين ، وهو يخرج في أكثر من عشرين جزءا كبيرا ، وقال ابن خلدون فيه : « وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب « النوادر » فاشتمل على جميع أقوال المذاهب ، وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ... وزخرت بحار المذهب المالكي في الافقين ـ المغربي والاندلسي ـ الى انقراض دولة قرطبة والقيروان » . وقد ألف ابن أبي زيد الرسالة المشهورة التي جمعت في أوراق قليلة عقيدة أهل السنة والفروض في في أسلوب بديع ، وتناولها المفسرون بأكثر من مائة شرح ،

وترجم أصلها إلى غير لغة أجنبية ، ولـه أيضا ردود على أهـل البدع والاهواء المخالفة للسنة ، وعلى الجملة كان ابن أبي زيد ـ بعد حركة التشيع الظاهرة في البلاد ـ كالمجدد للسنة ولمذهب مالك خاصة ، ويعد رأسا للمدرسة المغربية التي محت ما قبلها ، وكانت بدءا للحركة الفقهية المنشورة في عهد الدولة الصنهاجية إلى إبان الزحف الهلالي ، وتوفي ابن أبي زيد سنة ٣٨٦ هـ .

وقد تلقى عنه جماعة كثيرة من أشهرها :

ـ علي بن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن القابسي، من كبار الفقهاء المحدثين، قرأ في القيروان، ثم رحل إلى المشرق، وسمع من علية رواة الحديث ، وهو أول من أدخل صحيح البخاري إلى إفريقية ، وألف كثيرا في الفقه والحديث مثل ملخصه لكتاب الموطأ وغيره ، أما أصحابه وتـلاميذه فيعدون بالمآت من أفارقة ومغاربة وأندلسيين . ولا ننسى أنه كان في أوائل من أظهروا آراء أبي الحسن الاشعري ومذهبه في العقائد ولقد سعى إلى نشر هذه الآراء في البلاد الافريقية ، وأيدهـا برسالة في مناصرة الاشعرية ، وتوفي القابسي في سنة ٤٠٣ هـ .

ثم كانت طبقة أخرى عاصرت الدولة الصنهاجية بالقيروان في عنفوانها وازدهار حضارتها، أعني في دولة باديس وابنه المعز؛ وقدأسهمت في قمع بقايا المنتسبين إلى مذهب الشيعة في إفريقية، وحرضت على قطع الصلة بالملوك الفاطميين المقيمين بمصر، وشاركت الامراء في النداء بتوحيد المذهب في المغرب عامة، وفي حمل أهليه على استنان مذهب مالك دون سواه سنة ٤٣٠هـ ومن أبرز هذه الطبقة:

- أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني، من تلاميذ ابن أبي زيد والقابسي، وحاز الذكر ورياسة الدين بالقيروان في وقته مع أبي عمران القابسي، وتخرج عليه أصحاب يزيدون عن مائة وعشرين، وكلهم مقتدى بهم في المذهب، وتوفي سنة ٤٣٢ هـ.

- أبو الطيب عبد المنعم الكندي، من أجلاء الفقهاء، وأصحاب النظر في علوم الحساب والهندسة، وبه تفقه جماعة منهم: أبو الحسن اللخمي وعبد الحميد الصائغ وغيرهما، وتوفي سنة ٤٣٥ هـ.

ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد اللبيدي، من صغار أصحاب ابن أبي زيد والقابسي ، ألف كتابا جامعا في المذهب المالكي أزيد من مائتي جزء في عامة مسائل الفقه وبسطها وتفريعها، وزيادات على الامهات ونوادر الروايات ، توفي سنة ٤٤٠هـ

انفصال إفريقية عن المشرق :

وفي تلك الحقبة كانت الكارثة العظمى بزحف بني هلال وبني سُليم وإليك بيانها :

كان المعز بن باديس الصنهاجي الذي تولى إمارة إفريقية في السادسة من عمره ، قد تولى تربيته رجال مستمسكون بالسنة المالكية ، فكبر وترعرع في بيئة علم وأدب لم ترق البلاد رقيّها من قبل ، والحضارة يومئذ في الاوج ، فاطمأَنت نفسه إلى إمكان التحرر من سيادة الفاطميين بمصر ، مجاريا في ذلك ميول الامة الافريقية ، فما فتىء يتخذ الوسائل للانفصال عن سلطان الفاطميين البعيد المتضائل على الايام ، تؤازره على ذلك صفوة العلماء ، ويؤيده الشعب ، وضل يقاوم شيئا فشيئا خطة ملوك

الشيعة في العقيدة ، وفي السياسة ، ماضيا في حركة الاستقلال بالبلاد ، حتى جاهر بلعن بني عبيد على المنابر ، وأنكر سيادتهم ، وجحد ولاءهم وقاطعهم وكانت باكورة أعماله أن حمل الاهلين على الاستمساك بمذهب مالك دون سواه ، ولم يكن قد صنع ذلك وحده ، بل سبقه إليه بزمان طويل ملوك بني أميّة بالاندلس ، فانتهجوا هذا المسلك في حمل الامة على إيثار مذهب مالك ، وما كان المعز بن باديس ليخشى غائلة الفاطميين ، وبينهم وبين المغرب مفازة من الاسكندرية إلى قابس يتعذر اقتحامها على جيوش دولة دبّ فيها الوهن والانحلال ، فأقبل المعز على أمره يتحرر من سلطان العبيديين ، ويقطع الاسباب بينه وبين المشرق الشيعي .

وبلغ المعز في ذلك مناه ، مستجيبا لرغبة شعبه ، فتمتعت البلاد بالاستقلال نحو عشرين سنة ، ولكن دهاة رجال الفاطميين دبروا المكر بالمعز وبقومه الافارقة ، ورموهم بجنود من أعراب بني هلال وبني سليم كانوا يقيمون على الشاطىء الشرقي للنيل ، فأباحوا لهم أن يجوزوا المغرب ، فانحدروا

كالسيل الجارف لا يبقي ولا يذر ، ولما بلغوا تخوم إفريقية تصدى لهم المعز يحاول صدهم عن البلاد ، فانصبوا عليه وعلى عساكره ، وألحقوا بهم هزيمة كانت القضاء المبرم على حضارة إفريقية العربية ، واضطر المعز أن يلتجىء إلى حصن المهدية . فملك الاعراب القيروان دونه ، ورحل منها أمامهم ساكنوها متفرقين أيدي سبأ ، ولم يبق بها إلا قلة مستضعفة استكانت لغلبة المهاجمين ، وانقادت لسلطانهم سنة ٤٤٩ هـ .

وهكذا تقلصت ظلال العلم من رحاب القيروان ، وفارقها العلماء إلى خارج البلاد ، وإلى بعض مدائن الساحل التونسى ، إلا ما يذكر عن أحد الحفاظ ، آثر المقام بالقيروان بعد خرابها المشؤوم ، ذلك هو الامام بقية السلف الصالح ، وخاتمة الايمة النظار :

عبد الخالق التميمي المعروف بالسيوري ، فانه لم يغادر العاصمة ، وبقي بها إلى آخر أيامه ، وكان من وجوه أصحاب أبي بكر ابن عبد الرحمن وأبي عمران القابسي ، ومن في طبقتهما ، وانتفع به خلق كثير ، لانفراده برواية الحديث والفقه ، ومن

مشهوري تلاميذه الناقلين عنه : عبد الحميد بن الصائغ ، وأبو الحسن اللخمي ويقول الدباغ في شأنه : « السُّيوري آخر طبقة من علماء إفريقية ، وخاتمة أيمة القيروان ، » توفي سنة ٤٦٠ هـ أو بعدها بقليل .

وهنا تبتدىء طبقة أخرى من علماء الشريعة الذين انتقلوا من القيروان إلى الساحل التونسي واستوطنوه وأقرأوا به ، وعلى رأسهم فقيهان جليلان ، هما :

ـ علي بن محمد الربعي المعروف بأبي الحسن اللخمي من أبناء القيروان ، قرأ بها على جماعة منهم أبو الطيب عبد المنعم وبخاصة الامام السُّيُوري ، فلما جلا السكان عن القيروان قصد مدينة صفاقس واتخذها مقرًا له . فطار له فيها صيت ، وكانت له رياسة. يقصده طلاب العلم يروون عنه ، منهم الامام محمد المازري ، وقد وضع اللخمي مصنفات أجلها « التبصرة » أخرج فيه الخلاف في مذهب مالك ، واستقرار الاقوال ، وربما اتبع في بعض المسائل نظره الخاص ، وخالف مشهور المذهب فيما يرجح عنده ، فخرجت مختاراته عن القواعد المالكية

المقررة ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ وقبره في صفاقس مشهور .

ـ عبد الحميد بن محمد الصائغ ، من أبناء القيروان أيضا ، أخذ عن أبي بكر بن عبد الرحمن وأبي الطيب الكندي ، والسيوري وغيرهم ، وتحوّل الى سكنى المهدية وتولى بها الفتيا . وسمع منه خلق لا يحصون ، في مقدمتهم محمد المازري ، ثم دارت عليه محنة من السلطان ، فانتقل الى مدينة سوسة ، وبها قضى بقية عمره بين التدريس والتأليف وتوفي سنة ٤٨٦هـ . وقبره معروف على مقربة من البحر ، خارج المدينة .

هذان الامامان هما شيخا المازري ؛ وعليهما اعتماده في الرواية والسند العلمي القيرواني .

والآن وقد جلونا كيف انتهت الطريقة العلمية الى المازري ، نبحث كيف انتقلت هذه الطريقة منه الى أصحابه وتلاميذه ؛ لكي نرى كيف تحوّل سند العلم من مبعثه الاصيل ـ وهو القيروان ـ الى المهدية ـ ثانية العواصم الاسلامية في إفريقية ـ ثم إلى مدينة تونس ، قاعدة الملك الاخيرة ، وكيف ظل السند موصولا إلى أن بلغ عصرنا القريب .

ونمهد لذلك بكلمة نجمل فيها مزية المازري ، فانه لما توفي الشيخان « اللخمي » و « ابن الصائغ » وتعيّن على كبير تلاميذهما: محمد المازري أن يخلفهما في حمل لواء العلوم الشرعية في الساحل التونسي ، بل في إفريقية كلها ، ولم يتقلد المازري هذه الزعامة بأمر سلطاني ، بل باجماع الكلمة من أهل البلاد ، فتصدر لنشر التعاليم الدينية وتدوينها ، وقد أقبل على التدريس بالمهدية ، والتف حوله طلاب ممتازون تلقوا عنه سند المالكية بالرواية المتوارثة الصحيحة ، وحملوا عنه مصنفاته الفقهية، وأماليه في شرح الحديث والسنن ، وهو يمتاز عن غيره من متقدمي الفقهاء الأعلام بأسلوبه الواضح في التعبير والتقرير، وما كتب في مسألة فقهية، أو أصدر فتوى شرعية إلا دعمها بتطبيق أقواله على قواعد الاصول ، متبعا في ذلك المنهج المنطقي ، وما انتهى إلى قول من الاقوال الا بعد أن مهد له بالحجة ، وأقام عليه البرهان ، وتلك طريقة مستحدثة في التأليف والتدوين العلمي الاسلامي في أثناء القرن السادس الهجري وما تلاه ، وإنها لطريقة حكيمة في إثبات الحقائق ، ولا سيما في الاحكام

والمبادىء ، ومتى كانت هذه الطريقة معزّزه بانشاء متين كانت أوقع في النفس ، وأقوى على الاقناع.

ومن تعداد تلاميذ المازري والاخذين عنه سواء بالتلقّي ، أو بالاجازة ، يستبين لنا ما بلغه صيته العلمي مدة حياته ، ونجتزىء هنا بالاشارة إلى من لازم درسه واستفاد بالنقل عنه ، إلى أن خلفه بعد وفاته في نشر ما كان يحمل من السند والرواية.

فمن أشهر تلاميذه الافارقة :

- أبو يحي زكرياء بن الحداد المهدوي ؛ عني به المازري عناية خاصة ، ورشحه للمناصب الشرعية التي اعتذر عن قبولها لنفسه ، وقد تحقق عنده دينه وعلمه وفضله ، فأشار على الامير الصنهاجي يحيى بن تميم بن المعز باختياره لمنصب القضاء بالمهدية فسار فيها سيرة أهل العدل والصلاح ، وقد خلَفَ شيخه المازري في الرياسة الدينية ، إلى أن توفي في حدود سنة ٥٧٠ هـ وتخرج عليه كثير من الفقهاء ، منهم :

- عبد السلام البُرجيني ، نسبة إلى البُرجين ، إحدى

قرى الساحل ، أقام في فترة صغيرة بالمهدية في صحبة ابن الحداد وروى عنه ما يحمل من علوم الشريعة ، وانتفع بـه كثيرا ، ثم تحوّل إلى سكنى مدينة تونس بعد استيلاء الامراء الموحدين عليها ، واتصل بأعيان الدولة ، ولا سيما الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص ممهد المملكة الحفصية ، وتولى القضاء والافتاء في مدة ولايته ، وتصدى مع ذلك لنشر التعاليم الدينية بين شباب الطلاب التونسيين ، إذ لم يكـن في عصره من هو قائم بها مثله ، وكانت العاصمة الجديدة - مدينة تونس - في أشد الحاجة إلى معلمين مرشدين لخلو البلاد من حملة العلم بعد خراب القيروان واستيلاء نصارى النُرمان على ساحـل البلاد ، فظهر البرجيني كالعلم المفرد في الاستمساك بالروايـة الفقهية والسند العلمي المأثور من لدن الفتح في طبقة بعد طبقة .

وقد وهم المؤرخون وأصحاب الطبقات الذين تحدثـوا عن ذلك العصر ، إذ جعلوا البرجيني من تلاميذ المازري ، وأنه روى عنه أصالـة ، على حين أن المـازري مـات سنة ٥٣٦ هـ والبرجيني ولد بعد ذلك ، وعمّر حتى مات سنة ٦٣٠ هـ ، فلا

يصحّ في العقل أن يكون قد أخذ عنـه ، والذي تحقق لـنا بعد المراجعة والتمحيص أن البرجيني قرأ على الشيخ أبي يحي بن الحدّاد المهدوي ، فبذلك تصح الرواية ويتسق التاريخ .

وكان البرجيني على جانب من التقوى ، وهو الذي لحـد صديقه الشيخ خلف بن يحي التميمي المشهور بأبي سعيد الباجي دفين جبل المنار المتسمى اليوم باسمه ، وذلك سنة ٦٢٨ هـ .

ولابدّ من التنبيه الى أنه في العهد الذي انتقلت فيه دراسة العلوم الشرعية من القيروان الى المهديـة ، ومنها الى تونس ، كانت كتب الدراسة للعقائد وللفقه المالكي انما هي أمهات من المؤلفات وضعها علماء القيروان ، مثل « الرسالة » لابن أبي زيد - وهي للمبتدئين - و « تهذيب المدونـة » للبراذعي القيرواني ، و « التعليقة » وهي شرح المدونة لابي اسحاق ابراهيم التونسي القيرواني ، و « التبصرة » لابـي الحسن اللخمي ، الى كثير من المؤلفات يعيى بها الحصر والاحصاء .

- عبد العزيز القرشي المعروف بابن بَزِيزَة ، مولده في سنة ٦٠٦ هـ ، وهو من كبار الحفاظ المجتهدين المعترف لهم

بالتقوى في علوم الشـرع ، وفي الادب الرفيع ، كما تشهد بذلك مؤلفاتـه المتعددة ، وعليه تخرجت طبقـة من المشتغلين بالعلوم الدينية من طلبة الحضرة التونسية ، ممن أحيوا سُنن البحث ، وتدريس الفقه أصوله وفروعه ، وتوفي سنة ٦٦٢ هـ .

ومن أشهر تلاميذه :

ـ أبو القاسم بن أبي بكر اليمني المعروف بابن زيتـون ، مفتي إفريقية وقاضيها في مدة الامير أبي زكرياء الاول ، وابنه محمد المستنصر . مولده سنة ٦٢١ هـ وقد تخـرج عن ابن بزيزة وغيره ، ثم رحل إلى المشرق وروى بمصر عن العز بن عبدالسلام ، والحافظ المنذري . وعاد إلى تونس يحمل تعاليم المشرق وأصوله في التدريس ، وله رواية واسعة ، وأخذ عنه من أبناء البلاد من لا يعدّ كثرة ، وهو الذي تولى تحرير عقد الصلح المنبرم بين المستنصر بالله وجيش الفرنسيس بعد موت لويس التاسع ملك فرنسا في قرطاجنة (المحرم سنة ٦٦٩ = ١٢٧٠ م) . وتوفي ابن زيتون سنة ٦٩١ هـ .

قال العلامة ابن خلدون :« وبعد انقراض الدولة الموحدية بمراكش ، ارتحل الى المشرق من إفريقية القاضي أبو القاسم ابن زيتون في أواسط المائدة السابعة ، فأدرك تلاميذ الامام ابن الخطيب ، فأخذ عنهم . ولقن تعليمهم ، وحذق في العقليات والنقليات ، ورجع إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن ، وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله محمد بن شعيب الدُكالي، كان ارتحل إليه من المغرب، فأخذ عن مشيخة مصر ، ورجع إلى تونس ، واتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل ، حتى انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلاميذه..»

وقد يناسب هنا أن نورد ما قاله العلامة المقّري في كتابه « أزهار الرياض » في سياقة الحديث عن طريقة التعليم بفاس عاصمة المغرب الاقصى ، وأنها أقل درجة مما كانت في تونس ولا ريب أن العلامة المقّري تفطن إلى أن السر في تفوق الطريقة التونسية يرجع إلى عوامل أكبرها تواصل السند العلمي في الرواية ، وإليك مقاله : « ... والعلة في ذلك كون

صناعة التعليم وملكة التلقي لم تبلغ فاسا كماهي في مدينة تونس - في القرن الثامن للهجرة - اتصلت إليهم من الامام المازري ، كما تلقاها هو عن الشيخ اللخمي ، وتلقاها اللخمي عن حذاق القيروانيين ؛ وانتقلت ملكة هذا التعليم إلى الشيخ ابن عبد السلام - مفتي البلاد الافريقية - واتصل بها المشهود له برتبة التبريز والامامة ، واستقرت تلك الملكة في تلميذه ابن عرفة ..»

يضاف إلى ذلك أنه في أثناء تلك المدة وفد على حضرة تونس نخبة كبيرة من وجوه العلماء ، نزحوا إليها من بلاد الاندلس بعد سقوط مدينتي «بلنسية» و «شبيلية» في يدالاسبان نذكر منهم الحافظ محمد بن الابّار ، وأبا المطرّف بن عُميرة ، وأبا بكر بن سيدالناس ، وعبد الحق بن برطلة . وعلي بن عصفور ، وحازم القرطاجنّي ، وأحمد بن عجلان ، وأبا جعفر اللبلي ، والقاضي أحمد بن الغمّاز الخزرجي ، وبني خلدون الاشبيليين ، وسواهم ممن لا يحصون عدا ، وقد أثار مقدم هؤلاء المهاجرين نشطة كانت نواة حية للنهضة العلمية في تونس ، ولا سيما نهضة علوم الشريعة ، وكان اللاجئون جميعا ممن يذهبون مذهب مالك

ابن أنس كسائر سكان الاندلس ، مما زاد السند العلمي الفقهي المنتقل من القيروان إلى الساحل إلى تونس ثباتا وقوة، وانتشارا وسعة .

وقد نبغ من تلاميذ ابن زيتون وغيره جيل جديد من الفقهاء الاعلام ، وقفوا حياتهم على التدريس والتأليف في مختلف فروع العلوم الشرعية ، من آخر القرن السابع إلى آخر القرن الثامن ، نذكر من بينهم :

- محمد بن بن عبد الجبار الرُعيني السوسي المتوفى سنة ٦٦٢ هـ
- أبو القاسم بن علي بن البراء التنوخي المهدوي ، قاضي الجماعة بتونس المتوفى سنة ٦٥٥ هـ
- أحمد الانصاري المعروف بالبَطَرْني التونسي المتوفى سنة ٧١٠ هـ
- أبو بكر بن جماعة الهواري المتوفى سنة ٧١٢ هـ
- محمد بن عبد النور التونسي ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ
- إبراهيم بن عبد الرفيع الربعي ، قاضي الجماعة ، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ

ـ محمد بن راشد القفصي ، المتوفى سنة ٧٣٦ هـ

ـ قاضي الجماعة الشيخ المتبحّر محمد بن عبد السلام الهواري التونسي ، مجدد الحركة الفقهية ، وشيخ الجيل الآتي بعده ، توفي سنة ٧٤٩ هـ ومن أشهر تلاميذه :

ـ محمد بن عرفة الورغمّي ، شيخ شيوخ عصره ، وجامع قواعد الفقه وحدوده ، توفي سنة ٨٠٣ هـ

ـ عبد الرحمن بن خلدون ، نابغة الفلسفة التاريخية ، توفي على خطّة قضاء المالكية بمصر ، سنة ٨٠٨ هـ

وتتوارد بعد ذلك طبقات الفقهاء المالكين في القطر التونسي وكل طبقة تعول على التي قبلها في روايتها ، وتستمد منها تعاليمها محافظة على موروث تقاليدها ، وهكذا يتواصل السند العلمي الاسلامي ، لا ينقطع ولا يفتر ، إلى أن يبلغ إلى القرن الهجري الاخير الذي شاهد بعض الشيوخ المعاصرين أفذاذا من حفظة الشريعة الاعلام ، أساتذة « الزيتونة » وورثة مجدها العلمي ، ومفخرة تونس مدى الايام !...

❀ ❀ ❀

بعد أن عرضنا هذه البسطـة المستعجلـة في سير السنة المحمدية بالبلاد الافريقية ، فلننتقل الآن إلى التعريف بعلامتنا « المازري » بقدر ما أمكننا التوصل إليه من أخباره وآثاره .

فنقول :



الإمام المازري

نشأته وتعلمه :

أبو عبد الله محمد بن على بن عمر بن محمد التميمي المشهور بالمازري ، نسبة إلى مازرة بصقلية (١) ولا نعلم شيئا عن ولادة هذا العلم الفرد ولا عن نشأتــه الاولى ، هل كانت بصقلية ، أو بالقطر الافريقي ، ولم ينص على ذلك أحد من المؤرخين ،ولا من مؤلفي التراجم وأصحاب الطبقات . وبعد البحث الطويل غلب على ظننا أنه ولد بافريقية ، سواء أكان ذلك بالمهدية ، أو

(١) مَازَرة أو مازر Mazzara مدينة على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية تقابل شمال البلاد التونسية ، وهي اول بلدة امتلكها الجيش الاغلبي الفاتح على يد قائده القاضي أسد بن الفرات (ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ) وكذلك كانت آخر معقل للاسلام بالجزيرة . وقد افتكها رُجار ملك النرمان من يد عبدالله بن الحواس آخر ملوك الطوائف بصقلية (خلال سنة ٤٦٤ هـ) وبذلك انقطعت السيادة الاسلامية من تلك الجزيرة ، فهاجر من سكانها المسلمين من هاجر ، وبقي منهم من بقي تحت ذمة الافرنج إلى اوائل القرن السابع للهجرة ، والله غالب على امره وينتسب إلى مازرة هذه جماعة من العلماء الاعلام ، والادباء المجيدين .

بالقيروان ، أو بغيرهما من مدن الساحل التونسي في حدود سنة ٤٤٣ هـ والمظنون أن والده محمد بن علي هو المهاجر من صقلية عند اختلال الاحوال وقبيل استيلاء النرمان عليها ، ولهذا السبب نفسه فارق كثير من مسلمي صقلية جزيرتهم ، والتجأوا إلى الاصقاع الاسلامية ، ولا سيما إلى إفريقية التونسية لقرب ما بين العدوتين .

ومما يؤيد ولادة المازري بالجهة الساحلية هو مزاولته التعليم صغيرا بها ، ولم يرو التاريخ أنه أخذ عن شيوخ بلاد نسبته مع توفرهم حينئذ هنالك . وفي نظرنا أن المازري نشأ بافريقية ، وبها قرأ وترعرع ، وتلقى الدراسة العليا عن سندي المغرب في وقتهما بلا مدافع ، أعني أبا الحسن اللخمي (١)

(١) أبو الحسن علي بن محمد الربعي شهر اللخمي رئيس فقهاء القيروان في عصره من تلاميذ السيوري وابن محرز ، وابي اسحاق التونسي. وللخمي تعليق على المدونة مهم جدا يعرف بالتبصرة . توفي سنة ٤٧٨ هـ ودفن بصفاقس ، وضريحه مشهور هنالك .

وعبد الحميد الصائغ (١) وغيرهما من جلة العلماء الاعـلام . واستقر بالسكني في مدينة المهدية ـ وهي إذ ذاك شريكة القيروان في تخت الملك ـ وتصدر للتدريس بجامعها الكبير : جامع عبيد الله المهدي ، وبه بثّ ما وسعه صدره من العلم الغزير والمادة الواسعة ، فنشر العلوم الدينية والفنون على اختلاف أنـواعها ومراميها ، ومن ذلك الحين ذاع صيته في الآفـاق ، وطبقت شهرته المشرق والمغرب ، فكانت حلقة دروسه تشمل المئين من التلامذة المجتهدين ، سواء أكانوا إفريقيين أم وافدين من أقطار المغرب والاندلس ، وصار كعبة أنظار الطلّاب ، يقصده الداني والقاصي .

ناهيك بتلاميذ من ضمنهم أعلام : كابن الحداد المهدوي(٢)

---

(١) ابو محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ ، من كبار ايمة القيروان وعلمائها المعدودين . تصدر للفتيا بالمهدية في عهد المعز بن باديس الصنهاجي ، ثم لحقته محنة ايام الامير تميم بن المعز ، فانقطع عن الفتوى ، واستوطن مدينة سوسة ، وبها كانت وفاته سنة ٤٨٦ هـ وقبره بها على شاطىء البحر مشهور يتبرك به .

(٢) ابو يحي زكرياء بن الحداد المهدوي قاضيها وعالمها بعد المازري ، مؤلف مشهور مات في حدود سنة ٥٧٠ هـ .

ومنهم : أبو القاسم محمد بن خلف الله المعروف بابن مشكان الذي تولى قضاء مدينة قابس ومنهم : أبو عبد الله محمد بن زيادة الله القابسي وغيره وغيره وقد لا يكاد المؤرخ يقدر أن يحصر الآخذين عنه من بين أبناء إفريقية ، أما غيرهم من مشاهير الوافدين ، فمنهم رجل المغرب على الاطلاق علما وسياسة : محمد بن تومرت (١) والامام المتبحر الجليل أبو بكر بن العربي (٢)

---

(١) محمد بن عبدالله بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية ، مولده سنة ٤٨٥ هـ بالمغرب الاقصى ، وقرا بقرطبة ، ثم قصد المشرق في طلب العلم ودخل المهدية مجتازا وتلقى بها على إمامها الكبير المازري ، ثم ارتحل إلى مصر والشام والعراق ، واخذ عن الامام الغزالي ببغداد ، وحج ثم عاد إلى المغرب وقام بالدعوة سالكا تغيير المنكر والرجوع إلى اصول الشريعة المطهرة سنة ٥١٥ هـ إلى ان تمهدت له السبل وتمكن من تأسيس اكبر دولة مغربية عرفها التاريخ (الدولة الموحدية) وتوفي سنة ٥٢٥ هـ ، وكان من العلم على الجانب الاوفى مع تقشف وورع .

(٢) ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المشهور بابن العربي الاشبيلي حافظ الاندلس ومؤلفه الكبير ، مولده سنة ٤٦٨ هـ رحل مع ابيه في طلب العلم إلى المشرق ، سنة ٤٨٥ هـ ولقي بالمهدية عالمها الامام المازري ، واخذ عنه كثيرا واثنى عليه في رحلته الثناء العطر ، ثم طاف بلاد المشرق وصحب الامام الغزالي وانتفع به وعاد إلى الاندلس ، واقرا والف كثيرا وافاد ، وتوفي عام ٥٤٣ هـ .

وعلى بن صاعد (١) وغيرهم من لا يعدّ كثرة . وهناك فريق كبير من عِلْية علماء الآفاق الاسلامية المعاصرين للامام المازري رغبوا في الاخذ عنه بطريق المراسلة ـ طريقة الاجازة ـ فكاتبوه يرجون ذلك منه ـ رضي الله عنهم وعنه ـ أذكر من بينهم على سبيل التذكير : ابن رشد الحفيد فيلسوف الاسلام الكبير ، والقاضي عياض السبتي وابن فرس ، والمحدث ابن أبي جمرة ، وأبا بكر بن أبي العيش ، وابن الحاج ، وسواهم كثير جدا .

وهنا أورد حكاية تدلك دلالة صريحة على مكانة الامام المازري من قلوب الآخذين عنه وتقديرهم لجلالة علمه وعلو كعبه : ذكر ابن القاضي (٢) والمقّري (٣) :

---

(١) ابو الحسن محمد بن خلف بن صاعد اللبلي ، إمام القراءات بالاندلس ، حج واجتاز بالمهدية فأخذ عن الامام المازري وأجاز له مارواه والفه ، ثم رجع الى بلاده فتولى قضاء شلب ومات سنة ٥٤٧ هـ .

(٢) كتاب « درة الحجال ، في غرة اسماء الرجال » لاحمد ابن القاضي ج ١ ص ١٣٥ طبعة الرباط .

(٣) « ازهار الرياض ، في اخبار القاضي عياض » لابي العباس احمد المقري مؤلف نفح الطيب (خط بمكتبتي) .

«أن بعض طلبة الاندلس ورد على المهدية لمزاولة العلوم على المازري ، فحضر يوما مجلسه بالجامع كالعادة إذ دخل شعاع الشمس من كوة ووقع على رجل الشيخ فقال المازري : هذا منعكس . فلما سمع الطالب ذلك ورأى القول متزنا ، ذيّله لحينه بقوله :

هذا شعاع منعكس لِعلةٍ لا تُلتبس
لما رآك عنصرا من كل علم ينبجس
أتى يمدّ ساعدا من نور علم يقتبس!

وحكى الصفدي ـ في الغيث المنسجم ـ أن بعض أدباء الاندلس كتب إلى أبي عبد المازري بالمهدية :

ربما عالج القوافي رجال تلتوي تارة لهم وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين وعصتهم نون ونون ونون

فأبِن لنا ما طاوعهم وما عصاهم» .

فكان من ضمن جواب الامام عن هذا السؤال : طاوعهم العجمة ، والعي ، والعجز ؛ وعصاهم اللسان ، والجنان ، والبيان» .

فأنت ترى أن شهرة المازري العلمية طبقت الآفاق ، واخترقت تخوم إفريقية والمغرب ، واجتازت إلى الاندلس من ناحية الشمال ، إلى أقصى البلاد العربية من ناحية المشرق ؛ فلا غرو حينئذ أن يشتهر عَلاَّمَتُنَا الفذ بلقب « الامام » حتى يصير ذلك لقبا لا يفارق اسمه ولا يعرف إلا به .

على أن هناك رواية نقلها أصحاب التراجم في سبب هذه التسمية ؛ قال ابن فرحون المدني (١) :

ويحكى عنه (أي المازري) أنه رأى في ذلك رؤيا : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أحق ما يدعونني برأيهم ، يدعونني بالامام ؟ فقال له : وسّع الله صدرك للفتيا » على أن هذه الرواية تثبت ما كان اشتهر به بين معاصريه من العلم الواسع ورسوخ القدم في الفتيا .

ثناء العلماء عليه :

اتفقت كلمة المؤرخين ورواة الاخبار على أن الامام

(١) « الديباج المذهب ، في معرفة اعيان المذهب » لابن فرحون طبعة مصر سنة ١٣٢٩ هـ ص ٢٧٩ وما بعدها .

المازري كان خاتمة المحقّقين وآخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق العلوم الدينية ، وممن بلغ بلا ريب درجة الاجتهاد المطلق . في تواضع خليق بالاعلام أمثاله مع من تقدمه من أصحاب المذاهب ؛ ننقل إليك هنا عبارة ذكرها الونشريسي في المعيار : (١) « وقد قال الامام المازري - رحمه الله - بعد أن شهد له أهل زمانه بوصوله إلى درجة الاجتهاد وما قارب رتبته : وما أفتيت قط بغير المشهور ، ولا أفتي به » . وذلك ورعا منه رضي الله عنه ، وسدا لباب الذرائع ، وخوفا من تجاسر الجهلة على الافتاء بغير المشهور من أمور الدين .

ومما نقل عنه الونشريسي أيضا في المعيار قوله في هذا المعنى :

« ولست أحمل الناس على غير المشهور من قول العلماء ، لان الورع قل بل كاد يعدم ، والتحفظ على الديّانات كذلك ، وكثرت الشهوات وكثر من يدعي العلم والتجاسر على الفتوى ،

---

(١) « المعيار » للونشريسي طبعة فاس على الحجر وخط بمكتبتي ج ٦ ص ١٢١ .

ولو فتح لهؤلاء باب في مخالفة المشهور من المذهب لاتسع الخرق على الراقع، وهتكوا حجاب هيبة الدين، وهذا من المفسدات التي لا خفاء فيها».

آراء العلماء فيه :

قال القاضي أبو الفضل عياض السبتي عند التعريف به وقد أجازه المازري بتآليفه من المهدية (١) :

«هو إمام بلاد إفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه وممن بلغ فيه رتبة الاجتهاد ودقّة النظر، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الارض أفقه منه ولا أقوى لمذهبهم، وسمع الحديث وطالع معانيه، واطلع على علوم كثيرة من الطبّ والحساب والآداب وغير ذلك. فكان أحد رجال الكمال في العلم في وقته، وكان حسن الخُلق، مليح المجلس، أنيسه، كثير الحكاية وإنشاد قِطَع الشعر، وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه. كتب إليّ من

(١) كتاب «الغنية» للقاضي عياض في ذكر مشيخته (خط بمكتبة المرحوم الشيخ الصادق النيفر في تونس).

المهدية يجيزني كتابه المسمى « بالمعلم في شرح مسلم » وغيره من تواليفه .. الخ ».

وزاد ابن فرحون على كلام القاضي عياض بقوله (١) :

« كان أحد رجال الكمال في وقته في العلم ، وإليه كان يُفزع في الفتوى ، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ حسن الخلق ، مليح المجلس ، أنيسه ، كثير الحكايات وإنشاد قطع الشعر ، وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه ، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الارض أفقه منه ، ولا أقوم لمذهبهم ».

وقال قاضي القضاة ابن خلكان : (٢)

« هو أحد الاعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه ... وكان فاضلا متفنناً ».

وقال أبو العباس المقرّي (٣) : « الامام المجتهد أبو عبد الله المازري ، عمدة النظار ، ومحور الامصار ، المشهور في الآفاق

---

(١) الديباج المذكور ص ٢٨٠.

(٢) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٨٦

(٣) « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » لابي العباس أحمد المقري صاحب نفح الطيب خط بمكتبتي .

والاقطار ، حتى عدّ في المذهب إماما ، إذ ملك من مسائله زماما .. الخ ».

وقال الورتلاني في رحلته (١) : «الامام النظار المجتهد ، القوي الباع في تحقيق النظر أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازَري ... الخ ».

وفي الحقيقة أننا لسنا في حاجة الى إثبات مرتبة هذا الامام الجهبذ والعلم الفرد بايراد شهادات المؤرخين فيه ، أو ثناء العلماء عليه ، ما دامت مؤلفاته القيمة بين أيدينا ، وهي - بلا مراء - الحجة القوية على علو مقامه العلمي ، ونيله بحق الصيت العالمي الذي حاز به رياسة عصره بلا منازع .

آثاره العلمية :

واليك أسماء بعض ما وصل إلينا من مصنفاته بعد بحثنا الطويل عنها والتنقيب على محتوياتها :

١ - « المُعلِم بفوائد مُسْلِم » وهو أول شرح وُضع على صحيح الامام مسلم القشيري ، قال في شأنه العلامة ابن خلدون

(١) «نزهة الانظار» ويعرف برحلة الورتلاني (الحسين بن محمد) ص ٤٢٩ طبعة الجزائر ١٣٢٦ بعناية صديقنا المرحوم محمد بن أبي الشنب .

في مقدمته الخالدة (١) : « وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به، وأكبّوا عليه، وأجمعوا على تفضيله .. وأملى الامام المازري من كبار فقهاء المالكية عليه شرحاً وسماه « المعلم بفوائد مسلم » اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه، ثم أكمله القاضي عياض بعده وتممّه وسماه « إكمال المعلم » .

وغفل ابن خلدون في تعريفه بشرح المازري عن أنه اشتمل أيضا على مسائل كثيرة في أصول الكلام، وأبحاث قيمة في الانظمة الاسلامية، ومسائل الخلاف، كمسألة الاجتهاد والامامة وشروط البيعة والمفاضلة بين الصحابة وجواز الجوسسة في الحرب وغيره مما يطول تعداده .

ويظهر أن الامام - رضي الله عنه - لم يقصد بادىء بدء وضع هذا الشرح بالذات، وإنما كان - على عادة كبار العلماء المتقدمين - يملي إملاءات خلال دروسه، فتجمّع من تلك الامالي ما كوّن شرحاً مستقلا . يؤيد هذا ما حكاه عبيد الله ابن عيشون المعافري الاندلسي - وهو من كبار تلاميذ الامام -

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٠ هـ

قال : سمعت أُبا عبد الله المازري بالمهدية يقول - وقد جرى ذكر كتابه «المعلم» -: إني لم أقصد تأليفَه ، وإنما كان السبب أنه قرىء علي صحيح مسلم في شهر رمضان ، فتكلمت على نقط منه فلما فرغنا من القراءة عَرَضَ عليّ الاصحابُ ما أمليتُه عليهم فنظرت فيه وهذّبته ، فهذا كان سبب جمعه (١) ».

ومن هنا يتضح لك أن طريقة القدماء الاعلام هي عين الطريقة التي يسلكها اليوم كبار الطلبة المترشحين في كليات العلم الجامعة في البلاد الغربية المتمدنة ، فانهم يتلقون الدروس العالية إملاءً ، وينقلون تلك الامالي إلى تآليف مستقلة تصدر بأسماء أساتذتهم ، ولا جديد تحت السماء .

وانظر - يارعاك الله - إلى لطف الامام وتواضعه العلمي ، حيث يعبّر عن تلاميذه والآخذين عنه بلفظ : الاصحاب .

ومهما يكن فان كتاب «المعلم» موجود منه نسخ كاملة ،

---

(١) يستفاد من مقدمة المعلم ان اقراءه واملاءه وقع من الامام المازري في المسجد المعروف الآن بمسجد سيدي مطير السكائن برحبة النعمة في مدينة المهدية ، وذلك في خلال شهر رمضان من سنة ٤٩٩ هـ راجع تكملة الصلة لابن الابار ج ٢ ص ٣٥٨ من طبعة مجريط سنة ١٨٨٧ .

أو متفرقة في كثير من المكتبات الخصوصية والعمومية ، مثل جامع الزيتونة رقم ١٠٩٩، والمكتبة المصرية ، وجامع القرويين بفاس ، ومكتبة الشعب بباريس ، وفي تونس ، وغير ذلك .

٢ ـ « إيضاح المحصول ، من برهان الاصول » وهو شرح ممتع في أجزاء عديدة على برهان إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني الشافعي المتوفى سنة ٤٣٨ هـ في أصول الديانة ، وهو من أهم ما صُنف في علم الاصول ، وأقدم ما شُرِح به هو تأليف المازري هذا ، ومنه أجزاء متفرقة في مكتبات تونس وغيرها .

٣ ـ « المعين على التلقين » والتلقين تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن علي الثعلبي المالكي قاضي بغداد ، المتوفى سنة ٤٢٢ هـ قال ابن فرحون : « ليس للمالكيّة كتاب مثله » وهذا الشرح يخرج في عدة أجزاء ـ قيل هي ثلاثون جزءاً ـ منه تسعة بمكتبة القرويين بفاس ، ومنه بالزيتونة ، وكذا بالمكتبة العاشورية وغيرها .

٤ ـ « نظم الفرائد ، في علم العقائد » وهو من أجل

مصنفات الامام ، إذ أنه أفرغ فيه ما آتاه الله تعالى من العلم الغزير الواسع ، والنظر الدقيق في المعتقدات وأصولها • ولم نقف على ذكر وجود نسخة منه في المكتبات التي نعرفها •

٥ ـ أمالي على الاحاديث التي جمعها أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ من مسند الامام مسلم القشيري ، وهي كالشرح لما كان مغمضاً منها •

٦ ـ « تعليق على مدوّنة سحنون » ولا يخفى أن المدوّنة الكبرى هي أمّ كتب المالكية ، وأساس فقههم ، وأول ما دُوِّن في فروع مذهبهم ، ولذا كانت عناية علماء إفريقية والاندلس بها كبيرة جداً • ويوجد من هذا التعليق جزء مفرد بمكتبة جامع القرويين •

وأنت ترى مما مرّ بك من تآليف الامام ـ رضي الله عنه في أصول الدين والحديث والفقه اشتغاله المثمر واجتهاده بالعلم واتساع نظره فيه ، على أن مآثره لم تكن محصورة فيما تقدم ، بل إنه اعتنى ـ وأي اعتناء ـ بالعلوم الفلسفية والفنون الادبية والرياضية • ومما سنذكر لك من تصانيفه في شتى الفنون يتضح

لك مكانته الجليلة ، ورسوخ قدمه فيها فمن ذلك :

٧ - « الكشف والانباء على المترجم بالاحياء » وهو نقد وإصلاح لما ورد في كتاب « احياء علوم الدين » للغزالي من الاحاديث الموضوعة ، وكُلّنا يعلم أن حجّة الاسلام الغزالي - رضي الله عنه - بالرغم عن علو مقامه في العلوم الدينية وتفرّده بالآراء الصائبة في فلسفة الاسلام والاخلاق ، لم يكن متحريا غاية التحرّي في الاحاديث التي أوردها في تأليفه المتقدم ومن هنا انتقد عليه المازري - وهو المحدث الثقة - تلك الانقال فأثبت منها ما أثبت ، وأسقط ما سواه .

ولا يظن ظان - رجماً بالغيب - أن المازري ممن يتحامل على الغزالي ، أو يقصد التنقيص من جلالة قدره وعلو كعبه بالانتقاد عليه ، وحاشى امام عالم عادل كالمازري أن يزدي بأحد أعلام المسلمين المشار اليهم بالبنان ، في العلم والفضل والبيان ، أو يمت الى الحط من عظمته ، بدليل شهادة المازري نفسه في فضيلة الغزالي ، وغزارة علمه ، وقوة عارضته في

أصول الشريعة السمحة ، فقد قال في حقه (١) « وأبو حامد الغزالي لا يشقّ أحد غباره في العلم وأصول الدين » . وإنما انتقاده الخالص من دنييء الاغراض موجه إلى ماورد في الاحياء من الاحاديث الموضوعة المنسوبة كذبا وافتراءً على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي من الضعف والوهن الثابت بمكان لا ينكره إلا معانت جاهل بالحديث الصحيح ، ولا يتسنى لمحدث ثبت قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل الراجح والفهم الدقيق وممارسة العلوم طول عمره كالامام المازري السكوت على مثل ذلك أو التغافل عنه ، لما يعلم من إقبال المتعلمين على الاحياء ، وانكباب المعلمين على مطالعته . فكأنما نقده الصحيح المجرد من شوائب الطعن والحسد ينكر وجود مثل تلك الروايات الضعيفة المعزوة إلى صاحب الشريعة العظيم ، ويرى أنها لا تليق أن تكون مثبتة في مأثرة جليلة ومفخرة من مفاخر التآليف الاسلامية كالاحياء حتى ينسب إليها الضعف والوهن

---

(١) نقل هذه العبارة الامام القباب في الانتصار إلى الغزالي - راجع المعيار للونشريسي ج ٦ ص ١٥٧ (قلم).

وبذلك تنعدم فائدتها الاخلاقية العظيمة ، وينقص أثرها الكبير في نفوس المطالعين من أبناء المسلمين . ومثل هذا الانتقاد هو مما يرغب فيه ، ويشكر عليه لما فيه من تنبيه المؤلفين - لا سيما إذا كانوا من الايمة الاعلام - إلى اتقاء تلك الهفوات واجتناب الموضوعات ، والتحاشي عنها ، والاعراض عنها ، وتعويضها بالروايات الصحيحة السالمة من الطعن ، وفيها ما يغني الغناء الكبير عن الموضوعات .

٨ - أمالي على رسائل إخوان الصفاء حررها في إيضاح بعض مشكلات وردت ضمن فصول تلك الرسائل الهامة في مسائل من العلوم الرياضية والآراء الفلسفية ، وكان إملاؤه لها بطلب من أمير عصره الامير العالم الاديب تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية (١) وللاسف الكبير أن هذا

---

(١) الامير تميم بن المعز بن باديس مفخرة من مفاخر القطر الافريقي - تولى الامارة سنة ٤٥٤ هـ وكانت قاعدة ملكه المهدية ، وتوفي سنة ٥٠١ هـ ، وكان من فحول الشعراء الذين ازدانت بهم دوحة البلاد ، والموجود من شعره كله عيون وغرر . راجع تأليفنا « المنتخبات التونسية » ص ١٠١ طبعة تونس ١٣٣٦ هـ

التعليق أو الانتقاد على رسائل إخوان الصفا لم يبلغ إلينا فيما نعلم ، ولم نقف منه إلا على ذكره من بين مؤلفات المازري .

٩ ـ « النقط القطعية ، في الردّ على الحشوية » فرقة تقول بقدم الاصوات والحروف ، لها ذكر طويل في كتب المِلل والنِحَل ، فليراجع مذهبها هنالك . وهذا تأليف أيضا لم نقف له على أثر ، ولا على السبب الاصلي في تحريره .

١٠ ـ « الواضح ، في قطع لسان النابح » : لا نعرف من هذا التأليف إلا ما أفادنا به المازري نفسه حيث قال : « هو كتاب تقصينا فيه كلام رجل ـ وأظنه من صقلية ـ وصف نفسه بأنه كان من علماء المسلمين ، ثم ارتد وأخذ يلفِّق القوادح في الاسلام ، ويطعن في زعمه على القرآن وطُرق جمعه ، تقصّينا قوله في هذا الكتاب وأشبعنا القول في كل مسألة (١) » وقد أشار المازري في محل آخر من « المعلم » أنه نقض قول هذا الملحد بالادلة التاريخية الصحيحة ، وأقام البراهين والحجج المنطقية على دحض أقواله وتفنيدها .

---

(١) كتاب المعلم والاكمال للابي ج ٦ ص ٢٩٥

ولا يخفى أن القرن السادس ـ الذي كان يعيش فيه الامام ـ قد كثر فيه ظهور أهل الاهواء والمخارق والمذاهب الزائغة عن الشريعة الاسلامية ، فكان من واجب العلماء المبرزين في ذلك العهد الذّب عما أجمع عليه المسلمون آراءهم من لدن عصر الصحابة الكرام ، وتأييد السنّة المحمدية بدفع الاطعان المموهة ، ودحض الشبهات الملفقة ، تنبيها للامة إلى مقاصد هؤلاء النازغين .

١١ ـ « كشف الغطا ،عن لمس الخطا » : هي رسالة في مسألة فقهية دقيقة استفتي فيها فأجاب عنها بايضاح وعلم وتحقيق ، وقد وقفتُ عليها ، ومنها نسخة بالزيتونة .

١٢ ـ كتاب في الطب ـ (كذا) والمشهور أن المازري وضع تأليفا في علم الطب عقب حادثة حدثت له يذكرها أصحاب الطبقات في ترجمته ، فيحكى أن سبب طلبه لهذا العلم ونظره فيه أنه مرض مرة فكان يعالجه طبيب يهودي بالمهدية وفي أثناء المعالجة قال له الطبيب : يا سيدي ! مثلي يطب مثلكم! وأي قربة أجدها أتقرّب بها من ديني وأهله مثل أن أفقدكم

للمسلمين ! . فلم يجبه الشيخ بشيء ، ثم لما عوفي أفرغ جده في دراسة الطب حتى أتقنه وملك زمامه وألف فيه ، حتى قيل إنه كان يفزع إليه في الطب ، كما يفزع إليه في الفتوى في الدين .

وإنا لنستبعد ـ كل استبعاد ـ حصول مثل هذه الحكاية ، إذ يصعب علينا اعتقاد أن طبيبا ـ مهما كان دينه وجنسه ودرجة علمه ـ يتفوه بمثل هذا الحديث الخارج عن أدب الصناعة وأدب المعاشرة ، ومع ذلك فانا لا ننكر أن الامام ـ رضي الله عنه ـ درس الطب وألف فيه ، لا سيما وقد نقل مترجموه أنه كان « درس فنونا كثيرة من أدب وحساب وطب وغير ذلك »(١) فلا يستغرب حينئذ من تدوينه في الطب وإن لم يصل الينا تأليفه المشار اليه . يؤيد هذا الرأي ما نسوقه اليك بعد من كلام المازري في مسألة طبية أوردها عرَضا ضمن كتابه « المعلم » بمناسبة حديث التداوي بالعسل من صحيح مسلم ، وقد أنكر بعض جهلة الاطباء المعاصرين ذلك قائلا :« قد أجمع الاطباء على أن العسل مسهّل ، فكيف يوصف لمن به إسهال ؟»

(١) الديباج لابن فرحون . وأزهار الرياض وغيرهما .

فأجاب المازري عن هذا الاعتراض البارد بقوله :

« الاشياء التي يفتقر فيها الى تفصيل قلما يوجد فيها مثل ما يوجد في صناعة الطب ؛ فان المريض المعيّن يجد الشيء دوآء له في ساعة ، ثم يصير دآء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له ، فينتقل علاجه الى شيء آخر بسبب ذلك ، وذلك مما لا يحصى كثرة ؛ وقد يكون الشيء شفآء في حالة وفي شخص فلا يطلب الشفاء به في سائر الاحوال ولا في كل الاشخاص ، وأهل الرأي من الاطباء مجمعون على أن العلة المعينة يختلف علاجها باختلاف السن والزمان والعادة والهواء وتدبير المألوف ؛ فاذا علمت هذا فينبغي أن تعلم أن الاسهال يعرض من وجوه كثيرة ، ولو كان كتابنا هذا كتاب طب لاستوفينا ذكرها ، فمنها الاسهال الحادث عن التخم والهيضات ، والاطباء مجمعون على أن علاجه بترك الطبيعة وفعلها ، وإن احتاجت الى معين على الاسهال أعينت ما دامت القوة باقية ، وحبسه ضرر واستعجال مرض ؛ فهذا الرجل يمكن أن يكون اسهاله من امتلاء وهيضة ، فدواؤه تركه والاسهال ، أو تقويته . ويجب حينئذ الاشارة عليه

بشرب العسل ، وربما الزيادة منه الى أن تفنى المادة فيقف الاسهال ويكون الخلط الذي بالرجل يوافق فيه شرب العسل الخ»

وأنت ترى في هذه الفقرة كلام متفنن في الصناعة الطبية عارف بقواعدها الكلية والجزئية ، ومنها يتضح لك أن المازري كانت عنده أكثر من المشاركة في علم الطب ، فلا يستغرب أن ألف فيه تأليفا خاصا .

١٣ ـ « تثقيف مقالة أولي الفتوى ، وتعنيف أهل الجهالة والدعوى » رسالة من تأليفه ذكرها له (البرزلي) في باب القضاء والشهادات من مجموعته الكبيرة للفتاوى الافريقية (١) ونقل عبارة الامام عن سبب وضعه لهذا الجزء ، حيث يقول :« وقد نزل بالمهدية ـ وفيها جماعة من أهل الفتوى ـ مسألة من الشفعة في بعض وجوهها ، وانفذ الي القاضي ابن شعلان ـ رحمه الله ـ السؤال ، فافتيته ان الاثبات ليس كحكم نفذ ، ثم استفتى من كان يفتي ، فأفتوا كما أفتيت ، وهذا منذ خمسين عاما ، وورد بعد

(١) وتسمى هذه المجموعة « جامع مسائل الاحكام مما نزل بالمفتين والحُكّام » خط بمكتبتي .

ذلك من القيروان جواب ممن كان يدعي علم الاصول ، أشار فيه الى المخالفة ، فأمليت فيه إملاء طويلا ترجمته « بتثقيف مقالة أولي الفتوى ،وتعنيف أهل الجهالة والدعوى » وأشرت بهذه الترجمة الى وجوه خالف فيها من أشرنا اليه ، وأوضحت فساد ما عول عليه ، وهو الآن موجود بالمهدية ....»

ولا مرآء ان المازري عُرف طيلة حياته بصراحة القول ، والاصداع بالحق في كل المواطن ، كما اشتهر بمجانبة حكّام الجور ، التعرض للولاة المستبدين في زمان كان السلطان فيه لحُكم الاطلاق في سائر الممالك الاسلامية،وكان ذلك من أكبر الاسباب في تراجع سياسة المسلمين الى الورآء حتى ساقها الى التدهور والسقوط في الشرق والغرب

وفي نظرنا ان الذي حمل المازري على مجاهرة الظالمين ، وتجرده لانصار الحق ، وعدم مبالاته بالسلطة المطلقة هو ما جُبلت عليه طبيعته من التقوى وتمسكه بالمبادي الاسلامية العالية ومن ناحية اخرى إعراضه عن الوظائف الرسمية كولاية القضاء وغيرها ، مما حمل جمهور الشعب على إجلاله والالتفاف حوله

واتباع أقواله وآرائه ، لذلك خافه ولاة الاستبداد واتّقوا سلطانه الروحي وأمسكوا عن مسه بسوء .

وكأنه أحس بتأييد الشعب لسلوكه فلم يتأخر عن مقاومة المظالم والتشهير بها ولم يراع في ذلك غير تقواه ، والخوف من الله تعالى ، فزاده موقفه إكبارا وتعظيما في أعين معاصريه ، وأحله مرتبة عليّة في نفوس عارفيه .

يؤيد ما قدمنا آنفا ما جاء في بعض وصاياه : « ... وينبغي للملك ان يكون حريصا على أخبار عُمّاله ، ويستكشف عن بواطنهم حتى يظهر له ما جُبلوا عليه ، فيجازي كل واحد بعمله .

ولا يزال أمر ذي السلطان رفيعا معظما مُهابا ، ما لم يأخذ في نقض عُرَى الشريعة ، وربما تجَرّأ بعض الملوك وسمحوا لعُمّالهم وأصحاب أشغالهم وكتّابهم وأعوانهم وأولادهم بهتك الحُرُم ، والاعتداء على الرعية ، والتسلّط عليهم بأخذ

أموالهم بغير حق ، فعند ذلك يسلبهم الحقُّ تعالى العزّ ويُجرّدهم من النعمة (١) ... الخ »

وانظر أيضا الى ما كتب في طالعة إحدى فتاويه معرّضا بتساهل بعض معاصريه على الافتاء بغير علم ولا تقوى : (٢)

« الحمدلله الذي لا يحمد سواه ، ولا يستخار في جميع الامور إلا اياه ، ونستعيذه أن نكون ممن غلب عليه هواه ، فجعل الجهل منقلبه ومثواه ، والى الله أرغب ان لا يجعلنا ممن ظنّ ان العلم معناه الدعوى ، وأراد ان يموّه على العامة بالفتوى ، وهيهات ما العلم الا ما شهد به أهله ، وما الفضل الا ما عرف عنه فضله ، وليس الفقه عند من قال أنا ، وقنع بالمدحة والثنا ... »

ومثل هذا كثير جدا في تحريرات المازري ، ولو تكلّفنا استقصاء كل ما كتب في معنى معارضة المتفقهين الجاهلين

---

(١) نبّهنا محبنا العالم العامل محمد العربي الماجري - أحد شيوخ الزيتونة - الى وجود اختصار هذه الوصية في احد المجاميع الخطية التي بمكتبته الخصوصية - فله الشكر على ذلك .

(٢) ك « جامع مسائل الحكام » للبرزلي المتقدم .

أو الموالين لذوي السلطان الجائر لما خرجنا عن حدود بحثنا وتحدينا قاصديه .

وزبدة القول : إن ما وضعه الامام المازري من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون من حديث وفقه وأصول وجدل وأدب وطب وغير ذلك، لدليل واضح على طول باعه في العلوم وتبحره في العرفان، حتى صار المشار إليه بالبنان في ذلك الزمان. ثم إنا لا ندري هل كان له مصنفات أخر عدا ما ذكرنا لم تبلغنا أسماؤها الامر الذي نشاهده في كثير من علمائنا الاعلام، وما ذلك إلا لاهمال او غفلة كثير من مؤرخينا عن إيراد تراجم مستوفاة لعظماء رجالنا ، حتى يضطر الباحث الآن الى مراجعة الكتب العديدة بقصد التقاط نتف مبعثرة هنا وهنـاك لا تسمن ولا تشفي غليلا .

نمـوذج من تحاريره :

وأيا كان السبب فانا نقتنع بأن نسوق إليك هنا نموذجا من تحرير عَلمنا الجهبذ ؛ ليتبين لك مقدار رسوخه في الفتوى ،

ورجحان فكره الثاقب في المسائل التي كانت تعرض على اجتهاده فيبدي فيها وجهة نظره .

فمن ذلك : أنه سئل عن قوم يجتمعون بالليل بعد صلاة العشاء الاخيرة (في مدينة سوسة والمنستير) ومعهم قناديل يمشون فوق السور يذكرون أنهم يريدون العسكر ، ويقولون باجماع أصواتهم « سبحان الله العظيم » بتطريب وتحزين ، وينصرفون على تلك الصفة يمشون في الازقة ، ويجوزون على المجازر والمزابل، وهم على تلك الحال من الاجتماع والتطريب، إلى أن يبلغوا السور ، وقد نُهوا عن فعل ذلك في الطرقات وأمام المزابل ، ونهوا عن التطريب والاجتماع ، وامروا ان يكونوا على السور ويتركوا التطريب ، وأن سُنة الحرس في الرباط التكبير والتهليل ؛ فهل ينهون عن هذا ـ وهو بدعة ـ ولا يذكرون الله إلا في المواضع الشريفة من غير اجتماع ولا تطريب ؟

فكان جوابه :

« الاجتماع بالذكر والتطريب والتحزين ، ورفع الصوت

قد نهى عنه العلماء وأنكروه وعدوه بدعة ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الامور، فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ». وقد عُلم أن هذا الفعل لم يكن مما سبق في الزمن الاول، ولافعله السلف الصالح من الصحابة، لقوله: « أصحابى كالنجوم » مع العلم بأنهم أعبد ممن يأتى بعدهم، ونقل عنهم بالتواتر أنهم شديدو الحزم في الازدياد من الطاعة والحمل على النفس من مقاساة القُربات، حتى ليخف عليهم إراقة دمائهم، وقتل أولادهم وآبائهم في الجهاد في ذات الله ورسوله، فلو كان خيرا ما سبق هؤلاء إليه، وقد قال تعالى « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » وقال تعالى « تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجداً » الآية، وقال صلى الله عليه وسلم: « لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ». فمن عرف هذا وجب وقوفه عما وقفوا عنده ويفعل ما فعلوه، وهم كانوا لا يفعلون هذا. ولا يعتقد عاقل أن يقول: ما فعلوه تخفيفا على أنفسهم من المشقة

بل هو أخف شيء عليهم لو أرادوه ؛ وكذا من بعدهم من السلف لم يرد عنهم الامر بهذا ولا الحض عليه ، وما ذاك إلا لاتباعهم من مضى ولو لم يكن فيه إلا أن العلماء سكتوا عنه ولم يفعلوه لكان من حق العاقل ألا يفعله ، فكيف وهم أنكروه ونهوا عنه ؟ قال مالك فيمن يقرأ القرآن بالالحان ويعلّم ذلك الجواري كالغناء : ما «هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن» فجعل حجته أنه لم يفعله من مضى بعده بدعة ، وأيضا فاظهار هذه المعاني من نوافل الخير ، وقد لا تخلص النية فيها ويقصد بها المباهاة والرياء وابتغاء عرض الدنيا ، وهو خلاف الشرع ؛ وقد أمر الشرع باظهار صلوات الفرض وإخفاء النوافل ، لان قوادح النوافل في النيات تطرق أكثر منها في الفرائض لاجتماع الناس عليها . وكذا تكلم العلماء في إظهار الزكاة ـ وهي فرض ـ وإخفائها ، لقوله تعالى « إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ » الآية . وفي الصحيح ما يقتضي منع الصوت بمثل هذا : « إنكم لا تدعون أصم » الحديث . وإنما أبيح في حضور الرباط حين العسس من رفع

التكبير أو غيره من الذكر لِمَا فيه من المصلحة لاشعار من يريد اغتيال الحُصن أنهم حذرون مستعدون لدفاعه ؛ وأما الاجتماع والتلحين في الاسواق والمجازر فلا مصلحة فيه ولا ضرورة تدعو إليه مع ما فيه من استهجان ذكر الله في المواضع المحتقرة الخسيسة ، ولهذا نهي عن قراءة القرءان والاكثار منه في الاسواق احتراما له . ولذلك قيل لابن القاسم في الباعة إذا أخذت شيئا صلّت على النبي صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ليس هوموضع صلاة . ويكفيك بردهم الاتباع لمن سبق من الناس(١) « وعن الشيخ أبي بكر المالكي (٢) ـ وقد شاهدنا من

(١) المعيار للونشريسي طبعة فاس ج ١٢ ص ٢٤٤

(٢) ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بالمالكي ـ هو وابوه من قبله من كبار رُواة العلم والتاريخ بافريقية ، وكان ابو بكر هذا ممن بقي من العلماء بعد خراب القيروان على يد الاعراب الهلاليين ـ سنة ٤٤٧ ـ ، وهو من شيوخ الامام المازري رضي الله عنهما ـ وتوفي سنة ٤٧٤ ، وله كتاب حافل في تراجم علماء افريقية وصلحائها معنون باسم «رياض النفوس» منه نسخة كاملة بمكتبة الشعب باريس، واختصاره في دار الكتب المصرية وبمكتبة شيخ الاسلام عارف افندي بالمدينةالمنورة وبمكتبتي الخصوصية (وترجمة المالكي بالمدارك لعياض ـ خط ـ وبمعالم الايمان ج ٣ ص ٢١٧) وطبع منه الجزء الاول بعناية الاستاذ حسين مؤنس في مصر سنة ١٩٥١

فضله ودينه وجلاله وعلمه بالاخبار ما يحصل الثقة في أنفسنا بما يحكيه ـ أن يحي بن عمر (١) كان سَمِعَ بزقاق الروم ـ وهو طريقه إلى الجامع بسوسة ـ فريقا يكبرون أيام العشر، ويرفعون أصواتهم بالتكبير ، فنهاهم عن ذلك وقال : هذه بدعةٌ فلم ينتهوا ، فدعا عليهم ، ودعاؤه عليهم يقتضي شدّة إنكاره لما ابتدع على أمثال هذا ؛ وكذا إنكاره حضور مجلس السبت (٢)

(١) ابو زكرياء يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني ،احد أيمة المالكية الاعلام ، مولده بالاندلس وانتقل في صغره الى سكنى القيروان واستوطن آخرا سوسة .وهو من كبار تلاميذ سحنون وعليه اعتماده ، وتفقه عليه خلق لا يحصون ، وكان ثقة مأمونا ذا منزلة شريفة عند الخاصة والعامة ، وتوفي سنة ٢٨٩هـ وقبره خارج باب البحر بسوسة مشهور وله تآليف في مواضيع شتى غاية في التحقيق والافادة (راجع ترجمته بطبقات أبي العرب والخشني ص ١٢٤ وبالمدارك لعياض ـ خط ـ والديباج ص ٣٥١ وغير ذلك) وقد افردت له ترجمة مستوفاة في تعليقي على كتابه « احكام السوق » الذي سأطبعه قريبا ان شاء الله .

(٢) كان يوجد بالقيروان ـ خلال القرون الثالث والرابع والخامس ـ مسجد يعرف بمسجد السبت يعقد فيه لفيف من العامة وبعض من ينتسب الى التزهد مجلسا للذكر والرقائق وانشاد الاشعار في معنى الزهد يوم السبت من كل اسبوع وقد نهى عن هذه الاجتماعات كبار علماء القيروان المصلحين مثل يحي بن عمر المتقدم وشيخ المالكية عبد الله بن ابي زيد وغيرهم وعدوها بدعة سيئة والفوا كتبا ورسائل في النهي عن مثل هذه المجالس لمخالفتها للسنة الصحيحة (راجع جامع السبت بمعالم الايمان ج٢ ص٧٣ وج٣ ص٢٧ وما بعدها)

وألَّف فيه تأليفا فأمر من عانده في ذلك رجلا أندلسيا حسن الصوت أن يصلي معه الظهر فلما فرغ من صلاته رفع الاندلسي صوته فقرأ (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) إلى آخر الآيتين ، فبكى يحي بن عمر حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : - اللهم ! إن هذا القاري ما أراد بقراءته رضاك ولا ما عندك ، وإنما أراد تنقيصي وعيبي فلا تمهله ! »

فينبغي أن يقال لهؤلاء : انتم وإن سبق الى أنفسكم أن الازدياد من الخير مطلوب فيجب أن تعلموا أن هذه الامور لم تكن خيرا من جهة العقول ولا من جهة الشهوات ولا احكام الارادات ، وإنما هي ادبار من جهة الشريعة وما رسمه من آياتها عن الله تعالى ووعده من الثواب عليها ، فاذا رسمها على صفة من الصفات وحد من الحدود ، ونهى عن مجاوزته صارت الزيادة شرا ، فان يكونوا من اهل الاجتهاد فهلموا الى المناظرة، وان كانوا من اهل التقليد فيسألون اهل العلم لقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)

وقد أخبرناك بما تقدم لمالك وأصحابه وغيرهم من العلماء فلا ينبغي التساهل في هذه المعاني ولا يُغْفَل عن تفقّدها ولا عما وقع منها ، فصِغار الامور تجر كبارها ، وربما كانت هذه حيلا لاستمالة قلوب الاغنياء وصيد دراهمهم ، فان قال هؤلاء المستفتى فيهم : لسنا نريد إلا وجه الله ؛ قيل لهم : أصلُ مالك حماية الذرائع ، ففي بعض مسائل المدونة : أخاف ان صحّ من هؤلاء أن لا يصح من غيرهم ، وقد سئلتُ عن بعض لباس هؤلاء المتهمين للخزّ والمسوح والصوف الخشن الاسود فأنكرت ذلك . وسُئل مالك عن اللباس الخشن من الصوف ، فقال : لا خير في الشُهرة وينبغي أن يخفي الانسان من عمله . فقيل له : انما يقصد بهذا التواضع ، قيل : يجد بثمنه من غليظ القطن ما يقوم مقامه !

فأنت ترى كيف أنكر هذه ، فكيف به لو سئل عن لباس المسوح والثياب السود من الصوف ؟ هذا ، وقد قال النبيء ـ صلى الآ عليه وسلم ـ (ألبسوا البياض وكفنوا فيه موتاكم فانه من أفضل لباسكم) الحديث ، فهذه الصفة مخالفة للحديث

ولِمَا روي عن مالك ، فان رأوا مخالفة من تقدم برأي وتأويل لم يتركوا لرأيهم ويبين لهم فساد رأيهم . وعن عمر - رضي الله عنه - أحب للقاري أن ترى عليه الثياب البيض.

وقد رأيت الايمة الذين أخذت عنهم علم الشريعة-وهم أيمة عصرهم - استثقال هذه المعاني وانكارها ، ولو لم يكن في هذه الا التشبّه برهبان النصارى ، فقد اشتهروا بهذا الزّي حتى قال فيهم الشاعر :

أصوات رهبانِ دَيْرٍ في صلاتهم سود المدارع نقّارين في السحر

وقد ختم القاضي ابن الطيب كتاب « الهداية » له بكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فذكر من بعض فصول الامر التشبّه بزي لا يجوز التشبّه به ، وهذه الخيالات يستمال بها قلوب العوام ويريهم الانسان أن سواد قلبه من الحزن كسواد لباسه ، وهي مساخر وملاعب .

وعن أبي هريرة : أعوذ بالله من خشوع النفاق والمسكنة وهو أن يرى الجسد خاشع والقلب ليس بخاشع ، وقيل في رجل أظهر من الخشوع والمسكنة فوق ما هو عليه : « أترى

هذا أخشع من عمر الذي كان ينزو على الفرس من الارض » .
وهؤلاء الخلفاء الراشدون ولم ينقل عنهم أن هذا المقدار هو كان لباسهم وزيهم ، فان ظنّ أخرق أن يفعل في اللباس وغيره ما هو أولى عند الله وانه اجتهد فيما فرّطوا فيه أو عرف ما لم يعرفوه فقد خلع ربقة العقل والمسكنة في هذا الدين من ربقته.

وهذا الافراط في التقشّف قد نهى عنه صلى الله عليه وسلم وأنكر على قوم من أصحابه ما أرادوه من التبتل، وأخبرهم أنه أخشاهم لله لما طلبوا منه التبتّل ، فاعلمهم أن التقرّب انما هو بين رؤوسهم والوقوف عندما به حكم ، فقال : (لا رهبانية في الاسلام)

فينبغي أن يُشَنَّع على من ظن به جهل بما ذكرناه ولم يتعلمه أن ينفر العامة منه ، فان من قصد بهذا غير وجه الله أو تحيل على جاه أو مال أو صيت فقد تعرّض لسخط الله تعالى . وقال صلى عليه وسلم . (من سخط الله على العالم أن يميت قلبه قيل : يا رسول الله : كيف يميت قلبه ؟ قال . يطلب بعلمه الدنيا) وتوعّد أيضا أنه يُلْقَى في النار حيث تنقلب أقتابه ويقال له

كنت تقرأ ليقال وقد قيل . وقال سحنون . طلب الدنيا بالدف والمزمار أحبّ إلي من طلبها بالدين .

وهذه أمور قد كثر التحيل فيها على اراحة النفس من طلب العيش ان يكون الانسان عالة على غيره أو مسموع القول أو مبجّلا أو مكرّما . ومن صدق بما في كتاب الله من قوله سبحانه (يوم تُبلى السرائر) وقوله (يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) فلا يكون كهذا . ولسنا نشير في جوابنا هذا الى أحد من الناس بل ربما أمكن أن يتخذ هذه الامور من لا يقصد بها أمرا مذموما مما ذكرناه ، ولكن حقه اذا نصح الله ورسوله والمسلمين أن لا يفتح بابا يجر غيره مما لا يقصد به وجه الله تعالى الى ركوب ما نهى الله عنه ورسوله ، فقد كثر في هذا الزمان هجران الحقائق ، وربما اتخذت هذه المعاني حيلاً وشباكاً لتحصيل جاه أو مال . وليس شيء ننهى عن فعله على الاطلاق ولكن على التفصيل الذي ذكرناه . ونامر بتبجيل المنقطعين الى الله واكرامهم وخدمتهم ، فمن خدم الله تعالى

كان حقيقا ان يخدم ولكن بعد صحة القصد والنيات في اتباع حدود الشريعة ، ونـأمر بالتنكير عمن لَجَّ في ذلك واتخذه معاشا ؛ كما قيل لبعض الصوفية : أتبيعني مرقعتك ؟ فقال: هل رأيتم صيادا يبيع شبكته ! !

فأصحاب هذه الشبـاك ينبغي أن يتحفظ منهم ، وينفـر الناس عنهم وحسب العاقـل أن يسلك مسـالك من قد مضى « ومن مضى أعلم ممن بقي » كما قال مالك رضي الله عنه . والله سبحانه ولي التوفيق .(١)

فانظر - يارعاك الله - الى حصافة آراء امامنا الفذ والى أسلوبه الحكيم في التقرير والاستنتاج المرتكز على فهم مقاصد الشريعة وأصول السنة السمحة ، وانظر ايضـا الى غيرته على سلامة المعتقد من غوائل البدع وشوائب التدجيل ، حتى أنه ليخيل اليك بعد الاطـلاع على جوابه انه حرره وهو يشاهد العصر الحاضر الذي كثرت فيه المخارق والالاعيب بمبادي الدين

---

(٢٦) من ك « المعيار » للونشريسي - خط بمكتبتي وص ٢٤٣ من طبعة فاس الحجرية جزء ١٢

العالية ـ والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق .

ولنطرح أمامك جوابا ثانيا للامام ـ رضي الله عنه ـ في مسألة مهمة تخص أصلا من الاصول العامة لقانون العلائق بين الامم ، وهي مسألة الاعتراف بالقضاة المتولين من قِبَل أمير غير مسلم والعمل بأحكامهم وتنفيذها في بلاد الاسلام .

وهذا السؤال ورد على الامام ـ وهو بالمهدية ـ من جماعة المسلين المقيمين تحت ذمة النصارى بصقلية بعد انجلاء حكم الاسلام من تلك الجزيرة ، ونصه :

وسئل الامام المازري عن أحكام قاضي صقلية وشهادة عدولها ، ولا يدرى اقامة المسلمين هنالك تحت أهل الكفر اختيارية أو ضرورية ؟

فكان جوابه رضي الله عنه :

« القادح في هذا على وجهين : الاول في الكلام على القاضي من ناحية العدالة حيث أقام ببلد الحرب في قيادة أهل الكفر وذلك لا يباح ، والثاني من ناحية الولاية إذ هو مولى من قِبَل أهل الكفر . فالاول له قاعدة يعتمد عليها شرعا ،

وهي تحسين الظن بالمسلمين ومُباعدة المعاصي عنهم ، فلا يعدل عن هذا الاصل لظنون قد تكون كاذبة ، ومثاله حكمنا بظاهر العدالة ، وقد يجوز في الخفاء وفي نفس الامر أن يكون ارتكب كبيرة إلا من قام الدليل على عصمته ، وهذا التجويز مطروح ، والحكم للظاهر اذ هو الاصل ، الا أن يظهر من المخائل ما يخرج عن الاصل، فيجب التوقف حينئذ حتى يظهر ما يوضح .

« وهذا المقيم ببلد الحرب ان كان اضطرارا فلا شك أنه لا يقدح في عدالته ، وكذا ان كان اختيارا جاهلا بالحكم او معتقدا للجواز ، اذ لا يجب عليه أن يعلم هذا الطرف من العلم وجوبا يقدح تركه في عدالته .

« وكذا ان كان متأولا وتأويله صحيحا كاقامته بدارالحرب لرجاء افتكاكها وارجاعها للاسلام أو لهدايته أهل الكفر أو نقلهم عن ضلالة ما ، وأشار اليه الباقلاني ، وكما أشار أصحاب مالك ـ رحمة الله تعالى عليه ـ في جواز الوصول لفكاك أسير ؛ وكذا ان كان تأويله خطأ ووجوهه لا تنحصر كما أن الشبه عند

الاصوليين لا تنحصر ؛ وربما كان خطأ عند عالم وصوابا عند آخر ، على القول بأن المصيب واحدا بالآخر معذور ، أما لو أقام بحكم الجهالة والاعراض عن التأويل اختيارا ؟ فهذا يقدح في عدالته . « فمن ظهرت عدالته منهم وشكّ في وجه اقامته فالاصل عذره ، لأنّ جُل الاحتمالات السابقة تشهد لعذره ، فلا تردّ لاحتمال واحد . إلا أن تشهد قرائن أن إقامته كانت اختيارا لا لوجه . « وأما الوجه الثاني وهو تولية الكافر للقضاة والعدول ، والامناء وغيرهم ، فحجز الناس بعضهم عن بعض واجب حتى ادّعى بعض أهل المذاهب أنه واجب عقلا . وقد أقام في المدوّنة شيوخ الموضع مقام السلطان عند فقده خوف فوات القضية . فتولية الكافر لهذا القاضي العدل إمّا لضرورة إلى ذلك أو لطلب من الرعية لا يقدح في حكمه وتنفّذ أحكامه كما لو ولّاه سلطان مسلم ، والله الهادي لسواء السبيل (١) »

---

(١) مقتطف من كتاب « الدكانة » للشيخ عظوم القيرواني - خط

هجرة الصقليين الى افريقية

إذا كانت نصوص التاريخ التفصيلية عن نزوح بقايا مسلمي الاندلس الى المغرب الاقصى وتونس تعوزنا، مع قرب عهد هذا النزوح من عصرنا الحاضر، فان الاخبار الواصلة الينا عن هجرة مسلمي صقلية الى افريقية التونسية بعد استيلاء النرمان على الجزيرة - سنة ٤٨٦ هـ - تكاد أن تكون معدومة بالمرّة.

وغاية ما يقال ان عدد اللاجئين من أهالي صقلية الى المدائن التونسية - في مدة خمسين سنة - كان لا محالة وافرا جدا ولا يقل عن خمسين الف شخص على أقل تقدير، من بينهم فلاحين عارفين أثرياء، وتجار مياسير، وعلماء مبرّزين مثل الامام المحدث اللغوي الكاتب البليغ (عمر بن خلف بن مكي الصقلي) الذي تولى القضاء بمدينة تونس على عهد بني خراسان ومنهم أدباء مجودون مثل الشاعر الطائر الصيت (عبد الجبار بن حمديس) الذي مدح أواخر ملوك صنهاجة بالمهدية، وغيره وغيره مما لا يكاد يحصى عددا.


البحر المتوسط
خريطة جزيرة صقلية على عهد العرب
مقياس
١
٢ر٧٥٠ر٠٠٠
عمل ح.ح. عبد الوهاب
جزيرة قوصرة
جزيرة غودش
جزيرة مالطة

والذي يهمنا من هذا كلّه هو ما يؤثر عن الامام المازري من انه كان ـ في تلك الاثناء ـ يكرم من يفد على افريقية من مهاجري صقلية ، فيوسع على فقيرهم ، ويساعد بالنصيحة الميسور منهم ، عطفا على اولئك اللاجئين المصابين بفقدان الوطن ،وقد استقر منهم كثيرٌ في أحواز المهدية ، والمنستير ، وسوسة ، فاشتروا الارضين لاثمارها بالفلح ، فكان المازري أكبر معين لهؤلاء على استقرارهم في الوطن الجديد ، وتأنيس غربتهم ، وفي الواقع ان هذه العاطفة كانت تخالج ضمير سائر سكان الساحل إلّا أنها ربما كانت أظهر عند المازري لما تربطه بهم من أواصر الاغتراب، نظير ما حصل ـ خمس قرون بعد ذلك ـ لجالية الاندلس النازحة الى التراب التونسي عقب الجلاء الاخير.

ولا غرابة أن تصدر عن المازري تلك الفتوى الفريدة من نوعها لاعذار أهل صقلية عن مهاجرة بلادهم ، وان يظهر من الرأفة والشفقة لمن بقي منهم فيها ، وهو أعلم الناس بحالهم ، وبما كانت تكنّه نفوسهم من الحسرة على مبارحة أوطانهم، والله يفعل ما يريد !

رفع التباس

طالما يعرض للباحثين عن تراجم علماء صقلية الوقوف على اسم : ابي عبد الله محمد المازري ؛ فربما يتبادر للفكر بادي بدء أنه الامام المازري المخصّص بهذه الترجمة ، والحقيقة أنه وجد أكثر من عالم عرف بهذا الاسم وهذه الكنية وهذا النسب ، ومن أجل ذلك تسرّب الى غير واحد من الباحثين في القديم والحديث التباس بين أفراد متغائرين ، مما أدى الى الخلط بين علماء واعتبارهم شخصا واحدا .

ومن الاسباب التي حملت على هذا التخليط هو أن هؤلاء الاعلام كان يجمعهم ـ زيادة على الاسم واللقب والنسبة ـ الاشتغال بعلوم الدين والمعاصرة في الزمان .

ولرفع هذا اللبس أردت أن أعرّف بكلمة وجيزة كل واحد منهم .

تقدّم في طليعة هذه العجالة أن المازري يُنسب الى (ما زرة ـ أو ـ مازَر) بلدة من جزيرة صقلية (١) ، وهي

(١) مازَرَة : بميم مفتوحة بعدها الف وفتح الزاي والراء

أقرب مدائنها إلى القطر التونسي ، فلا عجب حينئذ أن امتازت مازرة-في عصر الفيض الاسلامي- بمسائرة برّ العدوة الافريقية في تقاليده ومشاركته بالنصيب الوافر في العلوم والاداب العربية، وكانت مازرة آخر معاقل الاسلام بالجزيرة : وقد أنبتت عشرات من العلماء ما بين فقهاء ومحدّثين وأدباء وشعراء فصحاء ومن يرجع إلى تاريخ صقلية العربية يجد ما فيه إقناع وإمتاع .

المازريون :

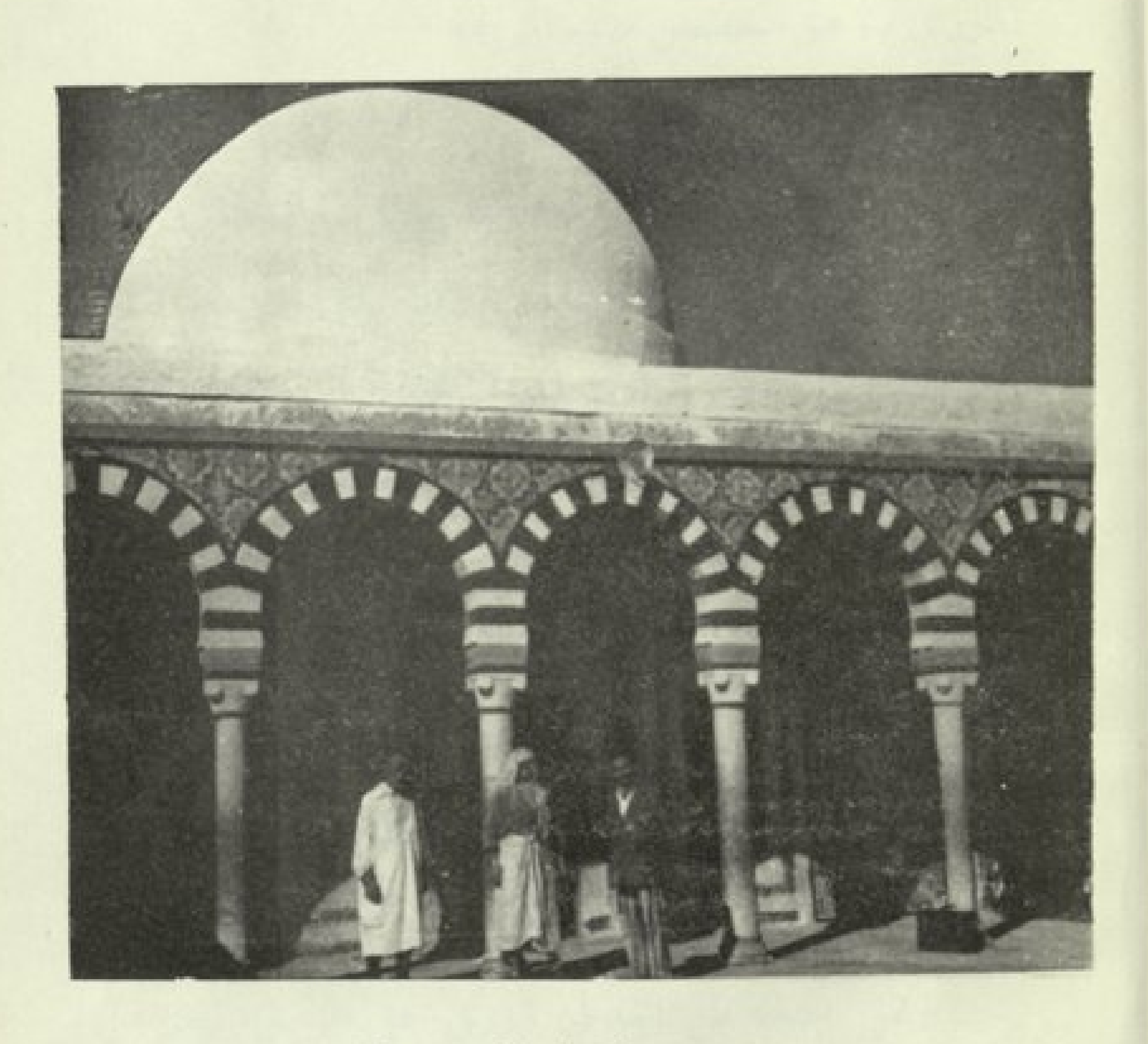
أولهم ـ أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج ويعرف (بالذكي) المازري ، فقيه حافظ مقدّم في المذهب المالكي، مشهور بالعربية وسائر العلوم ، مولده بمازرة وتحوّل إلى القيروان بعد استيلاء الافرنج على بلده فأخذ عن الامام السيوري وغيره ، ومن تلاميذه الافريقيين الرجل الصالح أبو الفضل ابن النحوي التوزري ورحل الى المغرب الاقصى ثم عاد الى افريقية ومنها قصد المشرق وأقام بمصر والشام والعراق ، وعلّم في بغداد العربية وفنون اللغة ، واستقرّ آخرا في إصبهان في بلاد فارس وبها توفي

سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢م) وألف كتبا كثيرة في القراءات والتفسير واللغة والنحو .

الثاني

أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المازري ، قرأ أولا يبلده ثم نزح إلى إفريقية فأخذ بالقيروان على جماعة من أفاضل علمائها ، درس الاصول على أبي الطيب عبد المنعم وغيره ، ثم رحل الى الحجاز ومصر واستقر أخيرا بالاسكندرية وأقرأ بجامعها ، وكان من كبار علماء الاصول والكلام ومال في آخر حياته الى التصوف كما فعل الغزالي ، ومن أشهر تآليفه: كتاب « البيان في شرح البرهان » لابي المعالي الجويني - وله « المهاد في شرح الارشاد إلى تبيين قواعد الاعتقاد » للجويني أيضا ، وهو من أحسن ما شُرِح به ، منه نسخة قيّمة قديمة بمكتبتي الخصوصية .

وكان وفاته بالاسكندرية سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م)



مدخل ضريح الامام المازري بالمنستير

الثالث

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المشهور بالامام المازري ، وهو المخصص بهذه الترجمة .

وفاته

عاش الامام المازري حياة طويلة هنيئة مملوءة علماً وعملاً وتقوى ونصيحة للقريب والبعيد ، وقد عمّر حتى بلغ الثالثة والثمانين ، وأدركته المنية في مدينة المهدية التي اتخذها مقرا ومسكنا من زمن دراسته إلى أن توفي بها يوم السبت الثامن من ربيع الاول سنة ست وثلاثين وخمسمائة (١٢ اكتوبر ١١٤١م) في مدة آخر الامراء الصنهاجيين الحسن بن علي بن يحي ابن تميم بن المعز ، وكان لموت الامام المازري رنّة عظيمة في أنحاء البلاد الافريقية ، وتوجّع لفقدانه سائر السكان من حاضر وباد

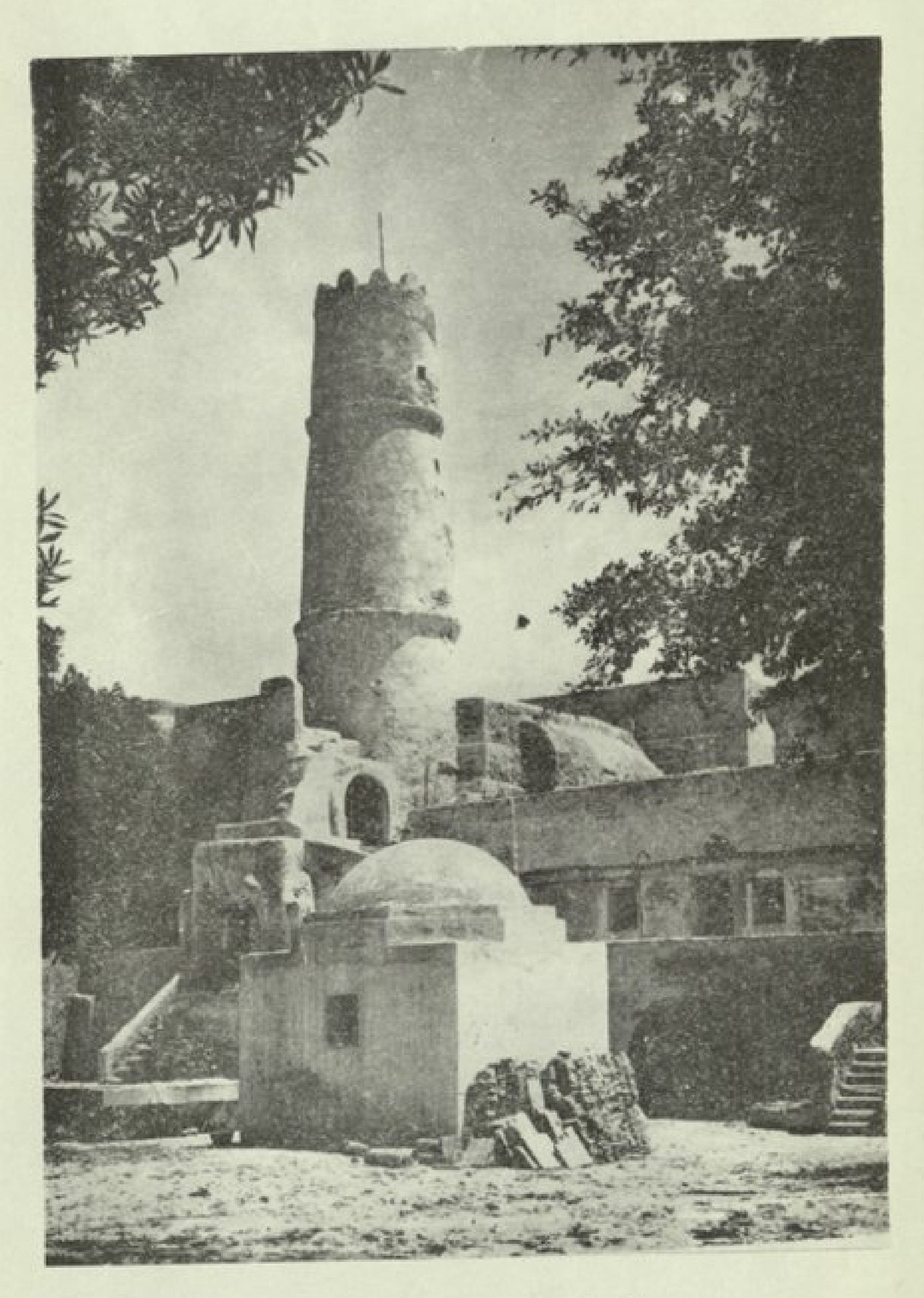
ضريحه

ونقل جثمانه من الغد في زورق على طريق البحر من المهدية إلى المنستير ، حيث مدفن الصالحين والعلماء والزهّاد والمرابطين النسّاك ، حول ذلك الرباط المبارك الشامخ الذي

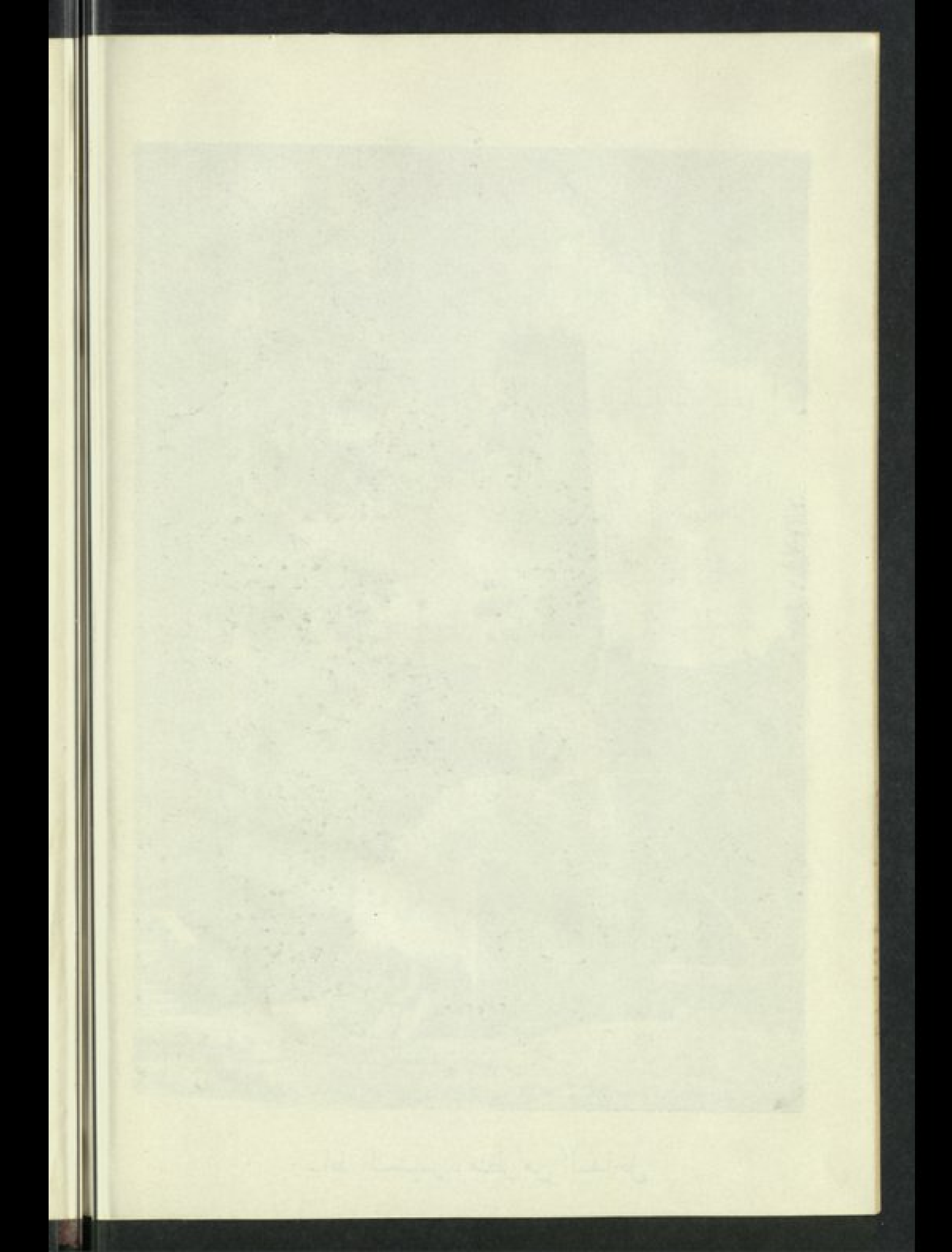
كان يفزع إليه سكان الساحل الافريقي عند الشدائد ، وهرع الناس زرافات ووحدانا من سائر مدائن الساحل وقراه لحضور الجنازة ، ودفن بعد الظهر في حفل رهيب قلما تأتى لعالم في عصره . وأقيم بعد قليل على قبره ضريح بسيط مسامت للبحر ، ودام هذا البناء إلى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة .

وفي تلك الاثناء كانت أمواج البحر تغور باستمرار على الشاطىء إلى أن اقتربت جدا من الضريح ، وخشي أولوا الفضل من العلماء على القبر من غمرات الموج فاتفقوا على نقله - مع غيره - إلى مكان ليس بالبعيد من الاول ، فنقل رفاته - رضي الله عنه - ليلة الاحد الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ١١٧٦هـ (٩ يونية ١٧٦٣م) إلى المقام المشهور به الآن في مقبرة المنستير تحت ظل المحرس الكبير .

وكان الآمر بهذه النقلة وبناء الضريح الحالي هو أمير عصره علي باي الثاني بن حسين بن علي مؤسس الاسرة الحسينية وقد نقشت العبارة التالية على حجر رخامي نصب في مدخل التربة فوق باب المقام :



رباط المنستير - منظر من الداخل



« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات
أسس هذا المقام على ضريحي الشيخين الامامين العالمين أبوي
عبد الله محمد المازري، ومحمد الموّاز ... »

وضلّ هذا الضريح إلى يومنا المشهود من أبرك المزارات وأجمل المقامات، يزيده ريعان الموقع بهجة وجلالا ولا غرو فانه يواجه البحر من ناحية، وحصن الرباط الشامخ الذرى من أخرى.

أمطر الله هذا القبر شبائب الرحمة والرضوان، وجازى ساكنه الرضي - عن تونس الاسلامية وأهلها - جزاء الفضل والاحسان.

آمين

تحريرا بالمهدية

ربيع الانور ١٣٤٨ هـ

إصلاح غلط

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠	٤	إفريقيا	إفريقية
١٠	١٢	روو	رووا
١١	٦	إشادهم	ارشادهم
٢٥	١	وعلي	وعلى
٢٦	٤	مآت	ميات
٧٤	١٣	محمد العامل	العامل الاستاذ محمد

فهرس

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم

